الافتتاحية

ثورة "الزعران"، أم زعران الثورة؟

قد يكون من الصعب جـداً أن نعرّف الثورة، أو نحدد معايير واضحة لها؛ فهي فعل منفلت من ضوابط الأيديولوجيات وتعريفاتها، ومن نظريات علماء التاريخ والاجتماع، وهي لحظة في تاريخ الشعوب لايمكن التكهن بموعدها، ولا بمجرياتها، ولا يغير في تسميتها ما سوف تتمخض عنه.

ما يتم تداوله عن الثورات؛ هو قياس يقوم به الساسة وعلماء الاجتماع والمثقفون على أحداث سابقة، وبالتالي فإن هذا القياس لايصح إلا بمدى تشابه مقدماته، وحتى هذا التشابه فإنه عرضة للنسف وفق مجريات الثورة والقوى الفاعلة فيها والمتبدلة في سياقها.

كما أنه من الخطأ قياس الثورة على نتائجها المباشرة، فما تفعله الثورة في المجتمع قد يحتاج إلى سنوات طويلة لتلمسه أو لظهور مفاعيله، وإن كانت السنوات السبع السابقة من عمر الثورة قد فعلت الكثير في المجتمع السوري، فالسوريون اليوم مختلفون كثيراً عمّا كانوا عليه قبل الثورة، ولست هنا بصدد تقييم هذا الاختلاف، ولا بصدد دراسته، ويمكن القول: إننا نحتاج إلى سنوات كي نتمكن من دراسته وتقييمه.

يمكن مقاربة الثورة من محددات عامة وعريضة جداً؛ فهي وفق تعريف عام واسع لها: لحظة تندفع فيها الشعوب لكسر هيمنة سلطة مستبدة تكبلها، أو هي فعل يؤدي إلى قطع سيرورة تريد لها سلطة ما أن تستمر، وتريد لها الشعوب أن تنتهي.

كيفما قاربنا الثورة بمفاهيمها العامة فإننا نستطيع القول: إن ماحدث في سوريا هو ثورة، وثورة أجمع كثير من المثقفين على وصفها بالثورة المتأخرة رغم امتلاك المجتمع لكل مقدماتها وأسبابها، إذاً هي ثورة سواء أكانت لجهة مجرياتها، أم لجهة أسبابها، أم لجهة مافعلته في عمق المجتمع السوري.

يخبرنا التاريخ أن من أهم تداعيات الثورة على المجتمع، هو: تحطيم القشرة الرقيقة التي تغلف نخبه بكل تصنيفاتها، وفرز قواه السياسية ومفكريه ومثقفيه إلى اصطفافات جديدة: منها ما يتمسك باللحظة الراكدة، ومنها مايصطف مع اللحظة القادمة.

في الحال السوري يضاف إلى صعوبة مقاربة الثورة بشكل عام، صعوبة أخرى تتأتى من طبيعة السلطة التي حكمت سوريا في العقود الخمسة الأخيرة من تاريخها، والتي زجت بها في حال بالغ الشذوذ والتعقيد، يجعل من قياس حالها على أحداث أخرى هو مجرد قسر، لن يفضي إلى نتائج ذات معنى، ففي اللحظة التي فجر فيها السوريون ثورتهم لم يكن في سوريا من يقوم بدور المثقف الحقيقي، ولم تكن هناك أحزاب سياسية، ولا مجتمع مدني، وعلى الضفة الأخرى كانت هناك سلطة متغولة ممسكة بكل مفاصل الدولة والمجتمع، يضاف إلى ذلك انخراط أطراف دولية كثيرة بكل قوتها لرسم مصير هذه الثورة، أضف إلى تعقيد التركيبة الاجتماعية في سوريا وارتكازها على مرتكزات لاتزال في أغلبها متخلفة ولاتصلح كأساس للبناء عليه، لإقامة دولة عصرية.

في ظل هذه اللوحة المعقدة تصدّر واجهة الثورة من ظن السوريون أنهم قادرون على فهم اللحظة وقيادتها وفوضوهم واستمعوا لهم وانتظروهم، لكن ماحدث هو أن من فوضهم السوريون كانوا أشد وطأة على الثورة ممّن وقف ضدها، وتسببوا لها بإخفاقات كثيرة، ثم تاجروا بها، ومنهم من خانها.

لم تكن الثورة إذاً ثورة زعران، كانت ثورة شعب على سلطة مستبدة فاسدة مرتهنة لاترى في الدولة والمجتمع إلا مزرعة وعبيداً، واستطاعت هذه الثورة أن تقطع السيرورة التي أراد مؤسسها تأبيدها. أما تحديد معالم المسار القادم فهو مسؤولية النخب وإخلاصها لدورها التاريخي، وإن كان هناك من تزعرن على الثورة فهم أولئك الذين تصدروا واجهتها ومن استثمروا فيها ومن رأوا أنها فرصة لهم؛ ليصلوا إلى مجدهم الشخصي أو الحزبي.

اليوم، وبالخلط بين زعران الثورة وثورة الزعران، ثمة محاولة للتشارف، وللتهرّب من المسؤولية التي يحاول بعضهم التنصل منها.

بسام يوسف

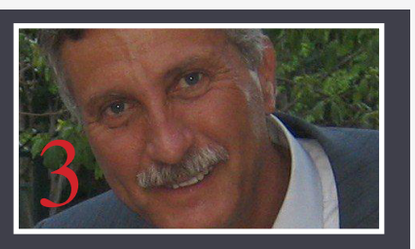
همجية ورقص في مدينة حمص
نبيل ملحم

خيارات السوريين المؤلمة
أحمد عيشة

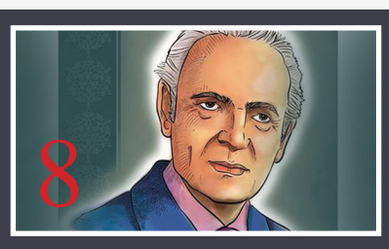
سامي الدروبي
الثقافة تطغى على السياسة

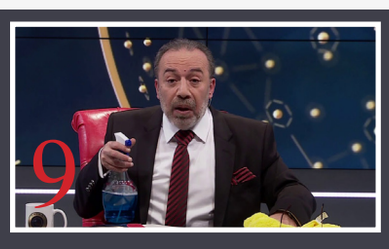
من التطبيل إلى التطبيل
علي الأعرج

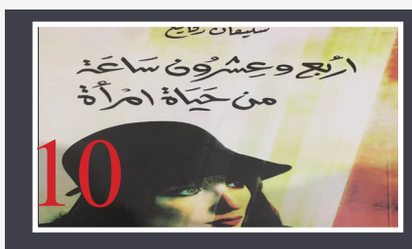

أربع وعشرون ساعة في حياة امرأة
عبد القادر أحمد

مطالعة لخبراء حول قضايا سياسية وأمنية

نشر معهد كارنيغي للشرق الأوسط يوم ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧ مطالعة لمجموعة من الخبراء حول الدور الروسي وإمكانية اعتباره وسيطاً في الحالة السورية.

«كريم إميل بيطار» الأستاذ المساعد للعلاقات الدولية في جامعة القديس يوسف في بيروت، قال: لا شك أن لدى روسيا كوكبة مهمة من الدبلوماسيين والخبراء بشؤون الشرق الأوسط الكفوئين للغاية، والمُتمرسين باللغة العربية، والمُتمتعين بمعرفة معمّقة بالملف السوري. لكن، وبعد الدعم الحاسم الذي قدّمه الرئيس فلاديمير بوتين لنظام الأسد في غضون السنوات القليلة الماضية، جنباً إلى جنب مع تدخله العسكري ثقيل الوطأة في سورية واستخدامه المتكرر لحق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي، بات من الصعب أن نرى كيف يمكن لروسيا أن تكون وسيطاً مستقلاً في هذا النزاع، خاصة حين نضع في الاعتبار الاستقطاب الحاد السائد الآن في أوساط الأطراف السورية. وبالتالي، ومن منظور خصوم الأسد، أن تكون روسيا بوتين وسيطاً أميناً في سورية اليوم أمر لا معنى له البتة، تماماً كما القول إن الولايات المتحدة وسيط أمين في الملف الفلسطيني- الإسرائيلي.

أما «سارة لياه ويتسون» المديرة التنفيذية لدائرة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في منظمة «هيومان رايتس ووتش» فقالت: تبدو محاثات سوتشي اليوم مجمّدة وعالقة في سلسلة العقد السياسية التي يُسببها العديد من الحروب بالواسطة في هذا النزاع.

لكن، إذا ما كانت روسيا جادّة حقاً في السعي إلى تحقيق عملية سلمية ناجحة، ستكون في حاجة إلى معالجة القضايا الرئيسة التي تُبقي البلاد في حالة انقسام. قد يكون هناك مزيّة في جهودها للسعي إلى تحقيق انفراج في الحوار، خاصة حين نتذكّر المحاولات الفاشلة في جنيف، بيد أن موسكو لن تكون قادرة على محض «مؤتمر شعوب سورية» صدقية ما، من دون كسب ثقة الشعب السوري.

كي تقوم بذلك، من الضروري للغاية أن تلتزم روسيا بحزم بوضع حد لكلٍ من الغارات الجوية المتواصلة وغير الشرعية ضد المدنيين ولعمليات الحصار، وأن تحل معضلة آلاف المعتقلين (وبعضهم مفقود منذ سنوات عدة الآن)، وأن توفّر ولو قدرٍ من المحاسبة، على الأقل من خلال عملية محلية للإفصاح عن الحقيقة؛ هذا علاوة على ضمان خطة متساوية لإعادة البناء الوطني.

كما يتعيّن على روسيا التأكد من أن حليفيها، أي سورية وإيران، لن يسعيان إلى نسف هذه الجهود.

ويقول «ديمتري ترينين» مدير مركز كارنيغي في موسكو: التأجيل الأخير لاجتماع أطراف المعارضة السورية في سوتشي، هو دليل آخر على مدى الصعوبات التي تعترض مسار المصالحة في حقبة ما بعد انتهاء النزاع في سورية.

معروف أنه خلال السنوات الخمس الماضية من الحرب، طرأت نكسات عدة وكانت أكثر من النجاحات في حمل أطراف النزاع على التفاوض، وليس التناحر والتقاتل فقط.

ومع ذلك، ومع اقتراب نهاية الحرب على مايظهر، بات نوع من التسوية قاب قوسين أو أدنى كأمر واقع. ومعروف أن الدبلوماسية، كما الحرب، تصبح أكثر نشاطاً حين يزف موعد المحصلات النهائية.

ويقول «بول سالم» نائب رئيس أول للبرامج والأبحاث في مؤسسة الشرق الأوسط في واشنطن: الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى.

لكن في السياق السوري، تبدو الصورة معكوسة. فالأن، وبعد أن شعر نظام الأسد وحلفاؤه بأنهم ضمنوا نصراً أساسياً في الحرب السورية، يحرص الروس على ترجمة الهيمنة على الجبهات العسكرية إلى «تسوية» سياسية تضفي الشرعية على حكم بشار الأسد، في مقابل تنازلات محدودة وشكلية للمعارضة.

في حين أن سورية تحتاج بالفعل إلى «مؤتمر وطني سوري» لإعادة التفاوض على الميثاق الوطني السوري، إلا أن شيئاً من هذا لا يبدو مطروحا. فنظام الأسد منذ السبعينيات لم يقم على أساس الشمولية للجميع وتشاطر السلطة، وهو لا يبدو مستعداً لتحقيق ذلك الآن.

وعلى رغم أن البعض حاول تعلّم بعض الدروس من كيفية إنهاء لبنان المجاور لحربه الأهلية المديدة، وبغض النظر عن مزايا هذه الحالة، إلا أن محادثات سوتشي لن تُسفر عن أي شيء كاتفاق طائف سوري.

مايكل يونغ

إدارة شركاء واشنطن الفاسدين في شرق سوريا

في ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧ كتب «باراك بارفي» في موقع معهد «واشنطن» مقالاً طويلاً حول علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع شركائها على الأرض في مناطق الرقة ودير الزور تحت عنوان «إدارة شركاء واشنطن الفاسدين في شرق سوريا»

يبدأ المقال بالتعريف بمجلس دير الزور العسكري ودوره في القتال جنباً إلى جنب مع قوات سورية الديمقراطية في دير الزور فيقول: خلال مؤتمر صحفي عُقد في ٩ أيلول/سبتمبر، أعلنت «قوات سوريا الديمقراطية» المدعومة من الولايات المتحدة عن حملة «عاصفة الجزيرة»، التي تهدف إلى تطهير وادي الفرات ووادي نهر الخابور في محافظة دير الزور من تنظيم «الدولة الإسلامية».

ويتولى قيادة هذا الهجوم «مجلس دير الزور العسكري» [«المجلس»] بزعامة أبو خولة الديري (المعروف أيضاً باسم أحمد حميد الخبيل)، وهو رجلٌ يُزعم أنه سيئ السمعة، ويمثل المعضلة التي تواجهها واشنطن في حرب اختفى فيها عدد كبير من الأشخاص الفاعلين الفاضلين منذ فترة طويلة، ليحل محلهم آخرون مجردون من المبادئ ويحاربون من أجل الموارد الهيدروكربونية في المحافظة وغيرها من المكاسب المادية.

في ١٤ أيلول/سبتمبر، أشار متحدث باسم البنتاغون إلى أن «قوات سوريا الديمقراطية» بقيادة الأكراد استحوذت على أكثر من ٤٤ ألف كيلومتر مربع من الأراضي خلال الحرب وحررت ٢,٣ مليون شخص من قبضة تنظيم «الدولة الإسلامية». غير أنه في ظل وصول هذا المسعى إلى خواتيمه، اضطرت واشنطن و«قوات سوريا الديمقراطية» إلى الاستعانة بشركاء مشبوهين هم أكثر بقليل من مجرد مرتزقة يبحثون عن مصدر دخل. فالتطرف والاستنزاف والانشقاقات لم يترك أمامهم سوى القليل من الخيارات الجيدة. على سبيل المثال، انضم زعيم المعارضة السابق الشيخ نواف البشير إلى قوات النظام في ربيع هذا العام. وعلى غرار عدد كبير من المقاتلين، قرر على ما يبدو أن التواجد في صفوف الجهة الرابحة كان أكثر أهمية من الإيديولوجيا.

ويُعتبر أبو خولة خير مثال على المعضلة التي تواجهها واشنطن فيما يخص التجنيد. فوفقاً للموقع الإخباري «دير الزور ٢٤»، غالباً ما تمّ توقيفه بتهمة سرقة الدراجات النارية قبل عام ٢٠١١. وبعد اندلاع الحرب، يُزعم أنه أنشأ عصابة كانت تجول في الطرق بحثاً عن سائقين لسرقتهم. وحين حاصر المتمردون المعتدلون اللواء ١١٣ في أواخر عام ٢٠١٣، تردّد أنه وفّر إمدادات غذائية إلى قوات النظام وقام بتهريب الجنود. وعندما دخل تنظيم «الدولة الإسلامية» إلى محافظة دير الزور في عام ٢٠١٤، أعلن ولاءه للمنظمة الإرهابية، ليعود ويهرب في وقت لاحق إلى تركيا بعدما أعدمت كوادر التنظيم شقيقه.

ولم يكن أبو خولة معروفاً قبل ١٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٦، عندما نشرت «وكالة أنباء هاوار» قصةً عن «مجلس دير الزور العسكري». وفي ذلك الوقت، قال إنه شكّل المجموعة قبل عشرة أشهر من ذلك التاريخ «لجمع شباب منطقة دير الزور والعمل على حماية الشعب». وادعى أنه كان لديه ألف مقاتل.

ويتابع ليشرح أهداف الحملة الحالية فيكتب: وفقاً لما جاء في مؤتمر صحفي من قبل البنتاغون في ١٤ أيلول/سبتمبر، تهدف حملة «عاصفة الجزيرة» إلى الاستيلاء على وادي الخابور شرق دير الزور، حيث أشار المتحدث باسم البنتاغون بشكل خاص إلى أن «مجلس دير الزور العسكري» لن يدخل إلى المدينة. غير أن قوات أبو خولة استولت على المنطقة الصناعية في الضواحي الشمالية الشرقية لدير الزور في ١٠ أيلول/سبتمبر، ثم استولت على محطة كهرباء ومصنع للسكر في وقت يقرب من ١٦ أيلول/سبتمبر. وفي ٢١ أيلول/سبتمبر، صرّح قائلاً «لقد وضعنا خططاً لتحرير الضفاف الشرقية وصولاً إلى الحدود العراقية-السورية».

وفي الوقت الحالي، سارت الحملة على محورين. فقد بدأ المحور الأول في منطقة أبو فاس على بعد ستة عشر ميلاً غرب الشدادي، حيث نزلت قوات «مجلس دير الزور العسكري» إلى وادي نهر الخابور. وبدأ المحور الثاني في أبو خشب التي تبعد نحو ٢٥ ميلاً شمال التبني. وبحلول ١٩ أيلول/سبتمبر، قال أبو خولة إن قواته تقدمت ٧٠ ميلاً تقريباً باتجاه نهر الفرات على كلا المحورين، لتغطي مساحةً تمتد على ميل واحد في كل محور. غير أن قوات «مجلس دير الزور العسكري» لم تستحوذ على أراضٍ واقعة شرق الخابور على الحدود العراقية-السورية. ويمثل منع الإيرانيين ونظام الأسد من السيطرة على تلك الحدود هدفا رئيسياً للحملة الأمريكية في دير الزور، إذ سيمنع تنظيم «الدولة الإسلامية» وإيران من تأمين ممر لإرسال المقاتلين إلى سوريا.

وليكتب بعدها أن معركة التسابق مع النظام على الغاز قد بدأت:

في الوقت الذي تحرك «مجلس دير الزور العسكري» على هذين المحورين، تقدمت قوات النظام نحو دير الزور من جهة الغرب. وفي حين توشك دمشق على تحقيق انتصار حاسم ضد تنظيم «الدولة الإسلامية»، إلا أنّها غير مستعدة لمشاطرة هذا النصر مع «المجلس»، كما أن الطائرات الروسية قصفت مواقع الجماعة في ١٦ و٢٥ أيلول/سبتمبر.

وتشعر دمشق بقلق بالغ إزاء استحواذ «مجلس دير الزور العسكري» وفصائل «قوات سوريا الديمقراطية» الأخرى على الموارد الهيدروكربونية لدير الزور. ووفقاً لموقع «سيريا ريبورت» («تقرير سوريا»)، أنتجت المحافظة في عام ٢٠٠٩ - العام الأخير الذي تتوفر فيه أرقام سنوية - نحو ٣٥ في المائة من النفط السوري. والأهم من ذلك، أنها وفرت ٨٦ في المائة من النفط الخفيف الممتاز الذي تنتجه البلاد، والذي يسهل تكريره ويحقق سعراً أعلى في السوق.

وحتى الآن، استولى «مجلس دير الزور العسكري» على حقول تملكها «شركة دير الزور للنفط» التي يديرها اتحاد الشركات الفرنسي «توتال». وكانت هذه الحقول تضخّ حوالي ٢٧ ألف برميل من النفط يومياً قبل الحرب، في تراجع عن نحو ٦٠ ألف برميل يومياً في منتصف تسعينيات القرن الماضي، وفق «المسح الاقتصادي للشرق الأوسط» («ميدل إيست إيكونوميك سرفي»). واليوم، تدهور وضع هذه الحقول بشكل كبير، وأصبحت بحاجة إلى مئات الملايين من الدولارات لإصلاحها. وحتى لو كان النظام يملك المال لإجراء الإصلاحات اللازمة، إلّا أنه ليس هناك مشترين دوليين لشراء النفط.

وفي المقابل، يريد النظام الحصول على الغاز بأي ثمن من حقول سوريا الشرقية من أجل تخفيف النقص الحاد في الطاقة.

وتأبى دمشق أن تسمح لـ «قوات سوريا الديمقراطية» و«مجلس دير الزور العسكري» بالتمتع بميزة السيطرة على الموارد الهيدروكربونية كما فعل تنظيم «الدولة الإسلامية»، لذلك من المرجح أن تركز على منعهما من الاستحواذ على المزيد من حقول الغاز - باستعمال القوة إذا لزم الأمر. وقد أدت المنافسة على دير الزور إلى استعراض كبير للقوة في الشهر الماضي.

ليصل إلى الاستنتاج التالي:

في الوقت الذي أصبح فيه تنظيم «الدولة الإسلامية» على شفير الانهيار، تسعى واشنطن إلى منع ظهور خلف محتمل. وسيتطلب ذلك اتخاذ تدابير توفر التهدئة وتُجنّب اندلاع أي اشتباك كبير بين النظام و«قوات سوريا الديمقراطية»، فضلاً عن فرض تدابير للسيطرة على الحدود مع العراق. كما يجب على واشنطن أن تراقب أبو خولة عن كثب لمنع قواته من إبعاد السوريين في المناطق المحررة. وإلا، فإن الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» ستُستبدل بصراع جديد، الأمر الذي يهدّد المكاسب التي تحققت خلال السنوات الثلاث الماضية بالتوازي مع زيادة التوترات الأمريكية-الروسية.

باراك بارفي

النظام السوري يسرق الأرض من خصومه ليكافئ بها الموالين له

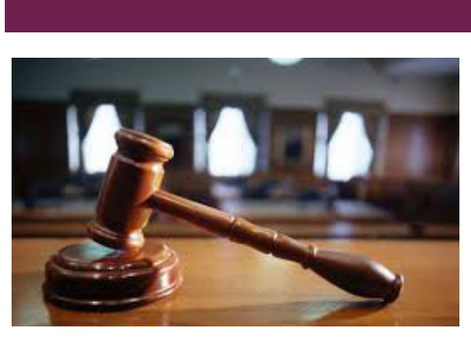

ما يشهده العالم من تأثيرات ومتغيرات عديدة، أبرزها العولمة وأحادية القطب وتزايد حالات النزاع المسلح، فإننا نجد أن قضية اللجوء وبشكل عام بعيدة عن تلك المتغيرات، حيث نجد ان الالتزام السياسي الذي أظهره المجتمع الدولي في التصدي للجوء والنزوح القسري في بعض البلدان كان غائبا في بلدان أخرى.

ويتجلى افتقار الالتزام السياسي للدول، بحل مشاكل اللاجئين، بشكل واضح في مرحلة ما بعد الصراع، وذلك عندما تنحسر الأضواء التي تسلطها وسائل الإعلام الدولية على تلك المشاكل، وكثيرا ما يعود اللاجئين والأشخاص النازحون إلى أماكن يتطلب الأمر فيها تدعيم السلام الهش والمصالحة وإعادة التأهيل والتعمير، الأمر الذي يترتب عليه بقاء الفجوة ما بين المساعدة الإنسانية ومعونة التنمية الأطول أجلا.

ونجد أن الكثير من بلدان العالم، تتخذ بعض التدابير التقييدية على نحو متزايد لردع اللاجئين، وقامت الكثير من البلدان بالتنسيق فيما بينها لغايات الحد من قدوم اللاجئين، دون ان يرافق ذلك التنسيق بحث الأسباب التي دفعتهم إلى اللجوء، حتي أدت تلك السياسات إلى وصم اللاجئين بأنهم اناس يحاولون التحايل على القانون.

ولمعالجة هذه التحديات يجب على المجتمع الدولي، أن يدرك أن ملتمسي اللجوء والنازحين دفعتهم أخطار وأسباب خارجة عن إرادتهم للبحث عن مكان آمن ، وأن الدول معنية بتطبيق الالتزامات المفروضة على عاتقها بموجب الاتفاقيات الدولية، الأمر الذي يقتضي التعامل مع قضية اللاجئين بأبعادها الإنسانية بعيداً عن المتغيرات السياسية، سيما وأن أرقام اللاجئين وصلت في الفترة الأخيرة إلى مستويات لا يمكن المرور عليها مرور الكرام، بل لا بد من التعامل معها بجدية أكثر، وتفعيل الآليات الدولية بشكل أفضل وأن تقوم الدول بما هو مفروض على عاتقها بموجب التزاماتها الدولية.

مايكل يونغ

خيارات السوريين المؤلمة

لم يعد خافياً على عموم السوريين، وليس اكتشافاً القول: إن من يتحكم بقضية الثورة السورية هم القوى الإقليمية والدولية، الأمر الذي يعكس مزاجاً يائساً لدى غالبية الناس، بأن الحل، إن كان ثمة حل قريب، ليس بمتناولهم، وليس عليهم سوى الانتظار وتلقي الصفعات، وتلك المعرفة يجب أن تدفعنا إلى التفكير بما هو ممكن تحقيقه ضمن عملية التصارع تلك، وما يلبي أو يقترب من حاجاتنا.

يمكن تلخيص واقع الحال: بأن ما يجري الآن هو صراع من أجل تقاسم النفوذ بين عدة دول إقليمية ودولية، وانسحاب بعض ممن كان لهم دور سابق، لينحصر تقريباً في أربعة دول، وهي: تركيا، وإيران، وروسيا، والولايات المتحدة. وتقف بقوة كل من روسيا وإيران إلى جانب النظام، دفاعاً عن مصالحهما وبغية الحصول على مكاسب أكبر من خلال هذا النظام- الألعوبة- القائم، بينما تبقى تركيا بوضع الصديق الضعيف، الذي اضطر حفاظاً على مصالح البلد، إن لم يكن خوفاً من تعرض البلد لاهتزاز كبير يعرض وحدته للخطر، لإقامة علاقات جديدة مع روسيا بوتين، ومع إيران الحرس الثوري وولاية الفقيه، خاصة بعد تفضيل الولايات المتحدة لخصم تركيا التاريخي، حزب العمال الكردستاني وفرعه السوري حزب الاتحاد الديمقراطي على تركيا، والتشارك معه في المعركة ضد داعش، وهو الأمر الذي اعتبره الأتراك تهديداً لأمنهم القومي.

من خلال تلك التشابكات التركية الجديدة، مع كل من روسيا وإيران، تمكنت من التشارك بإقامة مناطق خفض التصعيد في جزء من سورية، فكان نصيب تركيا منطقة درع الفرات في الريف الشمالي والشرقي لمدينة حلب، بعد أن استبيحت حلب من قوات النظام، ليضاف إليها حالياً مناطق إدلب والريف الغربي لحلب.

بينما تتشارك روسيا وإيران إلى جانب النظام- الألعوبة، بالسيطرة على معظم المدن الكبرى (دمشق وحلب وحمص وحماة ومدن الساحل السوري)، إضافة إلى جزء من دير الزور التي يجرى الاقتتال عليها وحولها.

تنفرد الولايات المتحدة بعلاقة مميزة وقوية مع حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، الذي يسيطر على مساحات كبيرة في الشمال والشرق من سورية، حيث الزراعة والنفط والغاز، إضافة إلى منطقة عفرين، التي توضع على طاولة المساومات حالياً بين روسيا وتركيا.

كما شاركت الولايات المتحدة وأشرفت مع كل من الأردن، (وإسرائيل، بشكل غير مباشر) على إقامة منطقة خفض التصعيد في الجنوب السوري.

بقراءة بسيطة للوقائع القائمة في سورية، يمكن القول بأنه ليس هناك سوى بعض الخيارات المفروضة كلها على السوريين، والتي يمكن إجمالها بالخيارات التالية:

أولاً- استمرار العلاقة مع تركيا، ومن خلفها التهدئة مع روسيا إلى حد ما، والقيام بخطوات في تلك المناطق (درع الفرات، وريف حلب الغربي وإدلب، وإن أمكن عموم مناطق الجيش الحر) بتنظيم نموذج للحكم الديمقراطي من خلال انتخابات عامة في جميع هذه المناطق وبنفس التاريخ، وفق شروط ديمقراطية، وأهمها المسؤولية والمحاسبة، إضافة إلى ترتيب أجهزة الشرطة والقضاء، وبناء تعليم وفق معايير الحياد، بدلاً من الحالي الذي يعتبر مؤدلجاً بامتياز، والعمل مع الأتراك لتكوين جيش موحد مهني في عموم هذه المناطق.

ثانياً- قد يبدو الخيار مؤلماً أكثر، وهو التعاون مع قوات سورية الديمقراطية ذات الأغلبية الكردية، التي تقودها وحدات حماية الشعب، بتشكيل جسد عسكري واحد يمكن أن يشكل قوة ومصدر تهديد للمصالح الإيرانية أولاً، التي تعتبر الخطر الأكثر بشاعة في سورية، ثم السعي لتأسيس نموذج حكم ديمقراطي.

ثالثاً- وهو الخيار الأكثر إيلاماً، وهو التعاون مع الروس ومصر والإمارات والسعودية، ومن دون عداء لتركيا، لخلق توازن معين يسعى إلى الحد من النفوذ الإيراني، ويؤسس لحكومة على الطريقة الروسية في ديمقراطيتها وعلمانيتها.

رابعاً، وأخيراً: وهو التشبث بمبادئ الثورة، في الوقت الضائع، الذي لم يعد سوى جدار أخلاقي ومعنوي للسوريين، بعد أن ارتهن معارضوهم وعسكريوهم لمختلف القوى الإقليمية والدولية؛ أي: التحول إلى حاملي المفاتيح وأحاديث الذكريات، وشحذ الهمم عل فرصة تاريخية أخرى تتكرر.

بعد سرد هذه الخيارات المؤلمة، لا بد من التذكير بأمور بسيطة، وهي: إن السياسة عملية موضوعية بين قوى اجتماعية وعسكرية واقتصادية، وليست إرادات وتمنيات، من دون الانتقاص من دور العزيمة والمجازفة اللتين يتطلبهما أي قرار سياسي.

لنحدد المطلوب، أي الهدف، والإمكانيات المتوفرة لدينا، وكيفية الوصول إلى ذلك الهدف في ظل الوقائع القائمة، وبمعنى آخر: ما هي فرص خلق واقع جديد من الممكنات المتاحة؟

يتفق غالبية السوريين على ضرورة الخلاص من النظام الاستبدادي، والانتقال إلى نظام ديمقراطي يسعى إلى تأسيس دولة محايدة مع مواطنيها وفق دستور وقانون لا يفرق بينهم اعتماداً على العرق أو الدين أو المذهب، كما يحظى هذا الخيار بتأييد دولي إلى حد ما يضمن مصالح الدول الكبرى، والإقليمية المتصارعة، ولا بد من تطمين تلك الدول، وتبقى إيران الدولة الوحيدة التي تعارض جدياً مثل هذا الطرح؛ كونها تسعى إلى تحقيق مشروعها الخاص القومي والمذهبي، من خلال دعم بقاء النظام الحالي، بعد أن وصل إلى حالة من الضعف جعلته رهينة وألعوبة بيد روسيا وإيران، كما لا يغيب عن ذهنها حالة العداء للشعب السوري الذي تسعى جاهدة لتفتيته، مما يسهل لها تنفيذ مشروعها المذهبي والقومي.

كما ينبغي الأخذ بالحسبان وأولاً، الحالة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي يعيش فيها أكثرية الناس في سورية في مناطق التشريد، التي أصبحت تضم كتلة بشرية كبيرة موزعة في مخيمات تفتقد لأدنى مقومات الحياة، من معيشة وتعليم وصحة وغيره، والتي تؤثر بشكل سلبي على معنويات وإرادة الناس.

بعد السنوات السبعة من التدمير والتهجير والقتل، ينبغي إعادة الاعتبار للسياسة، التي تدرك جيداً مصالح الناس، وتسعى إلى تحقيق أفضل الممكنات، وهذا لا يعني أبداً التخلي عن مطلب الخلاص من النظام الاستبدادي أولاً وعاشراً، والعمل على تأسيس الآليات التي تجعل الانتقال إلى نظام ديمقراطي عملية ممكنة.

أحمد عيشة

همجية ورقص في مدينة حمص

الهمجية والرقص على جثة الوطنية السورية في مدينة حمص، التي لاحظتها، وعايشتها، ورصدتها، لا تنعكس بسيطة في الوعي انعكاس صورة الشيء في المرآة...

عندما كنت أشاهد على شاشات التلفزة بعض المسلسلات التاريخية، التي تحكي عمّا فعله هولاكو في بلاد العرب.

أو عندما كانت تسرح مخيلتي في الصور، وحينما كنت أقرأ في كتب التاريخ عن هول ما فعله هولاكو بنا، منذ ما يقارب عشرة القرون من الزمن، لم يكن ليخطر على بالي، أن يأتي يوم، ونتعرف فيه إلى هولاكو جديد، ونتعرف معه إلى مشاهد من الدمار، لا تفوق بما كان في الذاكرة والمخيلة عن أعمال القتل والدمار، التي قام بها هولاكو المغولي فحسب؛ بل تفوق بشكل عربدتها، وبشكل تجلي ثقافتها، كل ما يمكن أن يبتدعه الخيال البشري.

فالهمجية لا تتحدد، وتعرف في الواقع على شكل دمار وتدمير؛ بل إن أهم ما يحددها، هي: ثقافة العربدة التي تسود أثناء التدمير، وفيما يليه. فهنا، يكشف من قام بالتدمير عن عمق هويته الهمجية، ومكنوناتها الداخلية التي ولدت، أو كانت خلف كل أعمال القتل والدمار؛ أي: إن القتل هو المحدد في النهاية، بالإضافة إلى الثقافة المولدة لهذا القتل.

إن الهول، كل الهول، في الأعمال الهمجية الحديثة التي ينفذها هولاكو هذا العصر، الذي يتربع على عرش عصابة نظام الحكم في دمشق، لا تكمن في حجم ومساحة الخراب والموت الذي أحدثه في الأرواح والعمران، وفي كل خلية وبنية من بنى المجتمع السوري؛

بل في نوع هذا الخراب، فالخراب هنا لا يطول حياة البشر والعمران فحسب؛ بل يطول الطبقات العميقة من تاريخ الهوية الوطنية السورية، أو لنقل: إنه يطول الطبقات التي أسست هذه الهوية.

إن الأيدي التي خلفت وراءها كل هذا الخراب، على مدى سبع سنوات: من القتل، والتدمير، والتهجير، والتطهير بمختلف أنواعه وأشكاله، مازالت تتابع هنا، وفي مدينة حمص عاصمة الثورة السورية، التدمير من خلال الرقص على جثة ما تم تدميره، بطريقة تفوق حتى رقصة الغريزة الحيوانية، وهي تلتهم صيدها، كما تفوق في شراهتها النزوع الحيواني الغريزي لالتهام صيده كله، دون أن يصل إلى حد الشبع، أو أن يعرف حداً له، ودون أن يعرف حداً لإرواء ظمئه. لقد عودنا نظام العصابة في دمشق، على مدى خمسة عقود من القمع والموت، على الرقص على جثة خصومه السياسيين؛ فهو يقضي عليهم دون أدنى شفقة أو رحمة، حتى وإن كانوا من رفاق الأمس. ولا فرق عنده، إن كان خصومه على هيئة شخصيات سياسية، أو أحزاب سياسية، أو سكان مدينة سورية، أو سكان عدة مدن سورية.

ولا فرق عنده إن كانوا يمثلون قلة من المجتمع، أو يمثلون أغلبيته، ولا إن كانوا جماعات كبيرة أو صغيرة.

إن ما يميز رقصة النظام- هذه الأيام- ليست وقاحتها فقط؛ بل كونها رقصة وقحة على جثة الوطنية السورية؛ إذ إن المقصود بالرقص في مدينة حمص، مع سعادينه الذين حولهم إلى أشباه بشر، ليس التعبير عن السحق السياسي والعسكري لعاصمة الثورة السورية أو التعبير عن الانتصار على خصم سياسي عسكري، إنما الرقص على جثة الهوية الوطنية للسوريين؛ فهنا لا يتجلى هدف النظام من رفع مستوى الألم الفيزيائي والمعنوي عند الخصم المتمثل بالرقص على جثة الضحايا وعلى أنقاض بيوتهم وتاريخهم، ولا يكمن في تحقيق أعلى درجة من الإذلال والخضوع؛ بل إن الأمر يتعدى ذلك بكثير.

إن الهدف هنا- وهو هدف شبه معلن– هو إحداث قطيعة نفسية تاريخية مع الخصم، الذي هو أغلبية المجتمع السوري؛ أي: إحداث قطع مع الهوية الوطنية السورية التي صنعت عبر التاريخ، هذه الهوية التي- على ما يبدو- لم يعد النظام بحاجة لوجودها، أو لنقل: إن مصلحة النظام قد أصبحت تكمن في موت هذه الوطنية، بعد أن وجد- وعلى المكشوف- أن مصلحته تكمن في هوية سوريا المفيدة لمشاريع إيران ومعها إسرائيل؛ لأنها المفيدة لمشروع بقائه وعصيانه في الحكم إلى الأبد.

إن ما هو خطير في هذه الهمجية المعاصرة، هو أنها تقوم، وتحدث، لا على أرضية افتقاد الجماعة البشرية التي تقوم بهذه الأعمال البربرية الهمجية، على الحد الأدنى اللازم لتنظيم الوجود المادي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والعمراني لوجود المجتمع، أو نتيجة لنقص الإشراف على هذا الوجود؛ بل لأنها -وهنا نجد أحد مفارقات التاريخ- تتم في شروط محكمة من قدرة هذه الجماعات الهمجية على تنظيم وجودها المادي، كما في شروط مستوى عال من القدرة على الإشراف على الوجود المادي للمجتمع، والإشراف- كذلك- على هذه الأعمال البربرية الهمجية.

وهنا، في حالتنا السورية المروعة، تمتلك هذه الجماعات أداة ووسيلة عالية القدرة، إن كان على مستوى التنظيم أو الإشراف على هذه الجماعات أو التنظيم والإشراف على أعمالها البربرية، وهذه الأداة والوسيلة ليست إلا الدولة-السلطة، التي تحولت إلى جهاز وظيفته الأساسية- بالإضافة إلى القيام بأعمال القتل والتدمير، وإدارة أعمال القتل والسيطرة عند العصابة الحاكمة- هي تشكيل هوية خاصة بجماعة بشرية، التصقت بشكل شبه عضوي بالسلطة – الدولة.

كما أن ما هو خطير، هو أن هذه الأعمال البربرية، وهذه العربدة، وهذا العمل على تشكيل هوية جديدة، أو لنقل: تشكيل كيان جديد في سوريا الذي تقوم به عصابة النظام، لا ينال، فقط، موافقة ومباركة اليسار المخصي في سوريا، الذي باع بعض رموزه تاريخهم السياسي بثلاثين فضية طائفية، لا قيمة لها ولا رصيد، الذين يشكلون بقايا المادة المخاطية اللزجة، التي تركتها وراءها نظم العبوديات التي عرفها القرن العشرين في الساحة السورية وغيرها، التي لا تزال منتشرة هنا وهناك في بقاع العالم، بل ونجد أيضاً مباركة النظام العالمي الرأسمالي، الذي يدعي الحضارة والتحضر، لهذه البربرية والعربدة التي تحدث فصولها ومشاهدها أمام ناظريه وبمباركته في المحصلة النهائية ...

نبيل ملحم

حوار مع نزار غانم

إدرس الاقتصاد والعلاقات الدولية وتخرج من جامعة جونز هوبكنز في أمريكا، هو من فئة الشباب اللبنانين الذين استحوذت عليهم فكرة المجتمع المدني للخلاص من فساد البنية السياسية التي استعمرت لبنان ما بعد المرحلة من اتفاق الطائف الذي رعته وكرسته المنظومة الأمنية السورية لبسط هيمنتها على كل الفرقاء الذين احتربوا فترة طويلة وصلت إلى ١٥ سنة من حرب أهلية تركت وراءها ما يزيد على ١٥٠ ألف ضحية ونسيج اجتماعي هش أكل مفاصل الدولة وجعلها مستعمرات لعوائل سياسية تتوإلى الحكم بالتوريث السياسي وهي أصلاً انتصرت بقوة السلاح وأصبحت مفروضة كأمر واقع على الشعب اللبناني. ناصر نزار الثورة السورية كبقية الشباب العربي الذي يتوق للتغيير في المجتمعات الشمولية التي كانت امتداداً لمخرجات مدارس دينية متحالفة مع سلطات العسكر الأمر الواقع التي توالت على المجتمعات العربية منذ عقود طويلة ورسخت فيه الاكراه والخضوع، لكنه يعتقد أن الثورة قد هزمت في مواضع وجوانب سنتناولها في الحوار التالي.

من هو نزار غانم، هل هناك علاقة بين عمله الحالي ودراسته، هل يعتقد بأن ما يقوم به مجرد عمل! أم هو امتداد لمشروع له علاقة بالتطلعات الفكرية الشخصية، ما هي أحلامه بهذا الخصوص؟

بدأت مسيرتي المهنية كأحد المؤسسين لمركز حل النزاعات وبناء السلام في بيروت في ٢٠٠٣ مع مجموعة من الأساتذة والطلاب. وكان المركز يهتم بموضوع الذاكرة الجمعية اللبنانية بعد الحرب الاهلية ويتناولها من جانب علاجي وفكري. مزج المركز علم النفس بالعمل الاجتماعي والطلابي. بعدها عملت في المركز اللبناني للدراسات كباحث، وكان المركز يرّكز على إعداد دراسات حول السياسات العامة للوزارات اللبنانية، والمنظمات المدنية وذلك عبر استخدام نتائج البحوث لقيادة عمل اجتماعي منظم. عبر هذا العمل تمكنت من زيارة معظم الأراضي اللبنانية لإعداد دراسات حول التنمية المحلية ومواضيع شائكة حول العنف الطائفي وتكونت لدي رؤية أكثر وضوحا لتشابك الهوية بالسياسة والاقتصاد. ومن ثم حصلت على ماجستير في الاقتصاد السياسي والعلاقات الدولية في جامعة جونز هوبكنز. بعد عودتي إلى لبنان استمريت في عملي البحثي (التطبيقي) في السياسات العامة في العالم العربي بصفة عامة وما زلت.

أعتقد بأن معظم جيلي الذي انتظم في المجتمع المدني اللبناني هم ورثة أبناء الطبقة الوسطى اللبنانية الذين تدمرت أحلامهم في الحرب الاهلية اللبنانية التي بدأت كمحاولة لبناء دولة أكثر عدالة وانتهت باجتياحات خارجية ودمار كثيف. أفقل المشروع السوري ـ السعودي بعد اتفاق الطائف كل المخارج السياسية لجيلي، فبين الفساد الاقتصادي النيوليبرالي والعنف المخابراتي السوري غرق لبنان في نظام سياسي عنيف يتآكله على مهل وما زال. المجتمع المدني بمنظماته الكثيرة، كان عملية هروب كبيرة لجيل انسحب من السياسة نحو المجتمع المدني. فإما الخليج للعمل في الفورة النفطية او الجمعيات الاهلية.

شخصيا أرى نفسي امتداد للحركة الوطنية اللبنانية، مع أني لا أوافق على بعض الخيارات السياسية في السبعينات وغيرها. حلمي أن أعيش في وطن يكفل الحد الأدنى من الكرامة الانسانية والعدالة ومنطقة مستقرة مترابطة اقتصاديا.

كمواطن جار في دولة شقيقة، ذات تجربة مؤلمة وشنيعة سابقة، كيف نظرت لما يحدث في سورية إبان بدء الاحتجاجات الشعبية للحصول على بعض الحقوق المدنية المسلوبة، من نظام شمولي عنيف كالنظام السوري، هل توقعت أن ترتفع عتبة المطالبات الشعبية لحد الإطاحة برأس السلطة هناك؟ وبالمقابل كيف كانت نظرة المواطنين اللبنانيين الآخرين بالعموم حول ذات الموضوع.

أذكر أن أبي أخذني إلى دمشق عندما كنت في الثالثة عشر وكنت أرجف من الخوف في السيارة. سوريا بالنسبة إلى الكثير من اللبنانيين، كانت سجنا كبيرا. كطفل كنت أعرف أن الكلام مع العمال السوريين خطير، لأنه «كلهم مخابرات». حتى عند زيارة بعض الأقارب السوريين كان الأهل ينبهوننا الا نتكلم في السياسة. لا أنسى أن في رحلتي الاولى إلى دمشق، لم أصدق أن هناك أناس عاديون في الشوارع وأن دمشق مدينة جميلة.

بداية الاحتجاجات الشعبية كانت انقلابا اجتماعيا ونفسيا للعلاقة اللبنانية-السورية. شخصيا التقيت بمئات من السوريين الذين ولأول مرة كانوا يتحدثون بحرية. اكتشفت أنني أقرب ثقافيا لبعض مناطق سورية من قربي للعاصمة اللبنانية مثلا. عملية اكتشاف الاخر السوري أصبحت اكتشافا للذات.

أنا من المؤيدين للاحتجاجات السورية بالمبدأ وعملت بما يمليه علي ضميري في التضامن السياسي والاجتماعي إن من الناحية الاغاثية أو التضامن السياسي. لم أتوقع في البداية أن تتطور الأحداث بهذه السرعة ولم أتوقع أن تبدأ حرب أهلية طاحنة. كنت من المشككين إبان عسكرة الثورة وأيام «الله محي الجيش الحر». كنت خائفا أن تتطور الأمور على الطريقة اللبنانية، فحرب ال١٩٧٥ أدت لحرب أهلية طاحنة استمرت ١٥ عام وانتهت بسيطرة القوى الإقليمية على القرار السياسي اللبناني. بذات الوقت، أعتقد أن الوضع في سوريا يتطور بطريقة سريعة. سوريا انفجرت والاحتقان السياسي والاجتماعي كان أكبر من قدرة التنظيمات السياسية السورية على قيادته. كما أن عنف النظام الذي دعا السوريين علنا لحرب أهلية لم يسهل مسألة الانتقال السياسي.

لبنان المنقسم على ذاته، دخل اتون الحرب السورية. فالقوى التي أتى بها النظام السوري في لبنان، تسانده الآن في سوريا. وكأن ما حصل في لبنان في السبعينات وما يحصل اليوم في سوريا مرتبطان عضويا.

بعد أن انقطعت السلطة العسكرية والمركزية المباشرة للنظام السوري على مناطق واسعة من أراض سوريا، تنامت حالة واسعة من الفراغ استدعت تنظيم النفس والاعتماد على الذات لتسيير شؤون المواطنين اليومية وما يتعلق بذلك من حصول المواطنين على الخدمات الأولية الأساسية، تجلى ذلك عبر انتخابات المجالس المحلية من جهة، وظهور منظمات المجتمع المدني بشكل متواتر حتى باتت ظاهرة ملحوظة. أرجو منك أن تشرح لنا بإسهاب عن منظمات المجتمع المدني ووظيفتها العضوية في مناطق النزاعات.

المجالس المحلية كانت تشكيلا ثوريا حقيقيا في مرحلة ما وجاءت كردة فعل على سقوط مؤسسات النظام المحلية. هذه الظاهرة التنظيمية كانت حقيقية ورسخت لأول مرة تجربة حكامة محلية. انقطاع السلطة العسكرية المركزية أعطى لأول مرة القدرة للمجتمع على تنظيم نفسه بعيدا عن سيطرة المخابرات وفتح إمكانية صعود حركات سياسية جديدة تأطر المواجهة مع النظام. هذا بحد ذاته كان فرصة سياسية للمعارضة لم يتم استغلالها، وتم تضييعها هباءً عبر فتح الباب لتنظيمات مسلحة إسلامية (كالنصرة وداعش) التي فعليا قامت بسحق التجربة الديمقراطية في المناطق المحررة. بكل بساطة قامت تشكيلات المعارضة العسكرية بنقل التجربة البعثية، وأعتقد أن الثورة خسرت فعلا، عندما أصبح العديد من الناس يعتقدون أن مناطق النظام أأمن نسبيا. الواقع السياسي الذي نشأ في المناطق المحررة، حيث أن الحكومة الانتقالية في غازي عنتاب منفصلة تماما عن واقع الأمور في سوريا ساهم أيضا بتذبذت الصورة. فالمعارضة تم اختراقها من الدول المجاورة وعبر منظومات الريع (وكالات التنمية الكبرى) التي تطبق سياسات خارجية غير متناسقة. وبدل أن تحكم المعارضة عبر نسق سياسي عسكري متجانس قادر على ضبط القرار السياسي والعسكري على الأرض، ما حصل هو العكس، انهيار وتشرذم استثمرت به الدولة «الصديقة» قبل العدوة. فبدل ان تمسك المعارضة كجبهة سياسية بسياسة الدعم العسكرية والمدنية، كما فعل ويفعل الان النظام في دمشق او في مناطق الاكراد، لما وصل الوضع لهذه الدرجة. فالمسؤولية متبادلة، كان هناك قرار دولي بإبقاء المعارضة في حالة ضعف، من الناحيتين العسكرية والسياسية.

من هي الجهات التي ترعى منظمات المجتمع المدني، أعتقد أنه من المعلوم لديك أنه سبق أن رفضت كل الأنظمة في المنطقة هذه المنظمات واعتبرتها أذرعاً مخابراتية للتدخلات الداخلية، أو تعاملت معها على حذر على الأقل، وبالتالي فإن سمعة المنتسبين اليها والعاملين فيها موضع ريبة، حيث تم تجريم المنتسبين اليها بجرم التجسس والخيانة في كثير من المرات من قبل الأنظمة، إلى أي مدى يعتبر هذا الكلام صحيحاً؟ هل تستطيع أن تشرح لنا عن الآلية التي عبرها يتم انتقاء موظفيها وعلى أي أساس يتم اعتمادهم، هناك الكثير من اللغط حول هذا الكلام. أيضاً من جهة أخرى، قد تواترت حالات كثيرة تم رفض توظيف الشخصيات التي تتمتع بموقف سياسي واضح ضد عصابة الأسد الاجرامية ضمن هذه المنظمات، حتى لو وجد بعض الأمثلة المعاكسة لهذه الحالة المتواترة، كيف نفهم هذا التناقض؟

لا أعتقد بأنه يمكننا التعميم على منظمات المجتمع المدني ويجب التفريق بين المنظمات العاملة. مثلا، منظمات مثل أنقذوا الأطفال أو الصليب الأحمر النروجي والكثير من المنظمات المدعومة من دول اسكندنافية أو منظمات الامم المتحدة، هي منظمات مستقلة نسبيا. أعطيك مثالا، النرويج. كنت أقوم شخصيا بدراسة للحكومة النروجية هذا الصيف حول كيفية صرفهم الأموال لدعم التعليم في العالم وكيف بإمكانهم تحسين هذا الدعم. وقد تفاجأت جدا بنظامهم السياسي والتنموي. في النرويج لا يمكن للدولة أن تتدخل في الاجندات السياسية للمنظمات التي تدعمها وفي دستورهم، على الدولة إعطاء حوالي ١ بالمئة من الناتج المحلي كمنح إغاثية لمنظمات المجتمع المدني. أي اتهام عن تدخل سياسي في الأجندة الإغاثية قد تؤدي إلى مشكلة سياسية داخلية لأن الدولة تلتزم حرفيا بمفهوم حيادية المساعدات أو neutrality of aid. المساعدات النروجية في الإغاثة الداخلية في سوريا ولبنان كانت نسبيا كبيرة. فهي من الداعمين الأوائل لمنظمة اليونيسيف. والنروج رائدة عالميا في دعم التعليم. دون هذا الدعم، يمكن القول إن المساعدات التعليمية للاجئين السوريين كانت ستكون معدومة. لذلك أعتقد بأن أكبر مشكلة أتت من منظمات أميريكية مدعومة من وزارة الخارجية الأمريكية والمال الخليجي المتدفق. هذين المصدرين كانا الأكثر تسييساً للوضع في سوريا وذلك لأن المنظمات العاملة التزمت بحذافير السياسة الخارجية للدول المانحة. وما فاقم المشكل هو أن المعارضة السورية لم تقم بضبط إيقاع هذا الدعم وشرّعت المناطق التي تحكمها المعارضة لكل هذه الأجندات. يقوم النظام بالتعامل مع نفس اللاعبين، ولكنه يقوم باختيار الفرقاء حسب أجندته الداخلية، ولأنه يملك السيادة على مناطقه، يقوم بتغيير إيقاع المساعدات. فالسؤال هو لماذا ينجح النظام بالسيطرة على طريقة الصرف فيما تفشل المعارضة، واعتقد السبب الأساسي هو عدم سيطرة المعارضة على الأرض بنفس الطريقة. لنكون واضحين حاولت الحكومة الانتقالية إدارة هذا الموضوع عبر تأسيس وحدة تنسيق الدعم. ولكن هذه الوحدة لم تستطع أن تضبط الحدود ولم تملك السيطرة الكافية على الأرض.

هل تعتقد حقاً بوجود نظام دولي يفعل ما بوسعه لينتشل الواقع العربي من مستنقع التسلط والأنظمة الشمولية؟ ألا تعتقد أن هناك أصلاً شراكة بين المجتمع الدولي، الذي يعتبر من نفسه نظاماً شرعياً لأنه الخارج المنتصر من الحرب العالمية الثانية، مع أنظمتنا الاجرامية التي اغتصبت لنفسها حق الشرعية عبر قوة الانقلابات العسكرية! بالتالي هل ما ينبثق عن وزارات خارجية المجتمع الدولي من منظمات مجتمع مدني هي مؤسسات تمتلك شيئاً من المصداقية وقابلة لتكوّن شراكة مع شعوب مهمشة ومسحوقة كشعوبنا في المنطقة، أم أنها مجرد شبكات عنكبوتية تصطاد النزاعات وتبني منها أرصدة بنكية خصيصاً مع الاعتماد على الاستنزاف الزمني لمثل هذه النزاعات؟

يعيش العديد من العاملين في هذه المنطقة تحت وهم أن هناك آخر في العالم اسمه المجتمع الدولي، وأن هذا الآخر يملك سلم أخلاق، وقانون دولي، وأن هذا الآخر معني بالتحرك خارج إطار توازن القوة. فالعالم لا تحكمه الأممية ومجالس سوفيات ثورية. هذه الحالة انتهت أساسا في الاتحاد السوفياتي مع تشكل الستالينية. هل نتكلم عن المجتمع الدولي الليبرالي الديمقراطي؟ فهذا أيضا عبارة عن تجمع لمصالح دولية تدير العالم بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية. انظر إلى الاكراد، لقد قاموا بعمل أفضل بكثير مما قامت به الثورة السورية، ولم تكن نهايتهم أفضل. بمعنى أن المصالح الدولية واستقرارها عبر منظومة توازن القوى هو الأهم. العالم تحكمه المصالح وليس الاخلاق، وهذا امر كان موجودا في السابق وسيبقى موجودا بعد موتنا بفترة طويلة.

كشعوب في المنطقة علينا أن نفهم، أن أي عملية تغييرية لا تعتمد على تنظيم ذاتي وعلى فلسفة للعمل واقعية تعترف بأن سوريا ولبنان، مناطق لصراع نفوذ بين أطراف متعددة دولية وأن المشروع السياسي عليه أن يلتزم بالحد الأدنى من اللعب على هذه التناقضات فمصيرنا دوما الخسارة. المنظمات الدولية لن تحل مكان السياسة والالتزام السياسي. فالتعاون بين الشعوب لا يحتاج لمنظمات عالمية ويمكن اقامته عبر شبكات تضامن سياسية.

مجددا في مناطق النزاعات، علينا أن نفصل بين الجانب الاغاثي مثل التعليم والصحة وبين المنظمات السياسية التي تم توظيفها بصراحة من وزارات خارجية مهتمة بالوضع السوري.

برأيك لماذا غاب الدعم المباشر عن هيئات محلية مختلفة كالمجالس المحلية، المنتخبة حسب المتاح والظروف ، بطريقة شرعية وديموقراطية، وتم تسليم الدعم المالي بطريقة التجزئة لبعض الموظفين الذين ليس لديهم صفة قانونية للتدخل بأمور داخلية، هناك الكثير من التدخلات غير المقبولة ولا المعقولة من قبل موظفي هذه المنظمات، مثال بسيط محاولة فاشلة لفرض اللباس المدرسي حسب مزاجية الجهة الداعمة من منظمة دولية ما. سألت الرئيس التنفيذي لإحدى الجهات العاملة بالشأن التعليمي من التشيك عن سبب التعامل المباشر مع مدراء المدارس مباشرة، رغم وجود وزارة للتعليم ومكاتب تعليمية منتخبة في المجالس المحلية، فأجابني جواباً واضحاً: « التعامل مع القطط الصغيرة يختلف عن التعامل مع القطط الكبيرة». ماذا ينبئك مثل هكذا جواب وقح؟ أتمنى أن ترفق اجابتك بأمثلة مختلفة مما يتناقله النشطاء بشكل مباشر أمام الجميع.

لا أدري عن هذه الحالة ولا يمكن الإجابة بشكل موضوعي على هذا السؤال. ولكن

أستطيع القول أن المجالس المحلية تلقت الكثير من الدعم ولكن في معظم الأحيان ما يحصل في شبكات التنمية هذه هو ان البيروقراطية تأخذ أكثر بكثير مما ينتهي في جيوب المواطنين. هذا الموضوع عالمي تقريبا ومشكلة تعاني منها كل منظومة المساعدات في العالم. فما يحصل فعليا، هو ان تدفق الاموال يحصل بسرعة عند الازمات ولكن المؤسسات المحلية لا تستطيع تصريف كل هذه الاموال بطريقة بيروقراطية (بمعنى لا يملكون الحسابات أو القدرة على رفع التقارير والخ). فالواقع القائم يصبح أن مصاريف إيصال المساعدات يكلف أكثر بكثير من المساعدات النهائية نفسها.

لهذا هناك الكثير من الكلام عالميا، حول كيفية كسر هذه البيروقراطية. كمثال على ذلك تقوم مؤسسة الصليب الأحمر الدنماركي بالالتزام القانوني بأن كل ١٠٠ دولار تكلف فقط ٧ دولارات من ناحية الإدارة. بناءً على هذا الواقع تقوم بتقديم المساعدات. ليس كل المؤسسات بهذه الشفافية أو بهذا الالتزام. نرى الكثير من الهدر في هذه المؤسسات وللأسف هذا هو واقع مؤسسات التنمية وقطاع المساعدات العالمي.

هناك نظرية في النقاش الدائر في حلقات التنمية هي أن صرف المساعدات يجب أن يعطى مباشرة لمؤسسات الدولة نفسها وليس صرفها عبر المجتمع المدني. يقول المنظرون لهذا الموقف ان هذا يشجع على تقوية مؤسسات الدولة النظامية (أو مثلا الحكومة الانتقالية) لأن ذلك يعطي الموارد لمؤسسات لها استمرارية عبر الزمن وتملك المعطيات الكاملة للتصرف بالأموال بطريقة أكثر فعالية.

هكذا يعمل البنك الدولي على سبيل المثال حيث يقوم بصرف الاموال للدول على شاكلة قروض. النظرية الأخرى تقول بأن إعطاء المال لمؤسسات رسمية سيؤدي لزيادة الفساد خاصة في دول ديكتاتورية فاسدة. في الحقيقة منظومة صرف المساعدات في العالم لدول العالم الثالث تقوم بمزيج من الاثنين. دعم تنموي للمشاريع الكبيرة يتم عبر المؤسسات الرسمية، ودعم آخر أصغر يتم عبر المجتمع المدني. هناك شبه اتفاق ان المجتمع المدني أكثر فعالية في مراقبة الدولة وتغيير السياسات العامة لذلك يحصل على أموال لها علاقة بالمراقبة أو ببث الوعي والخ.

ما هو الفرق بين أن تكون موظفاً لصالح جهة كالنظام السوري تسعى للإجبار والإكراه، وبين أن تقوم بنفس الدور بوظيفة لصالح منظمات مجهولة المصدر المالي، تتدخل بالأمور السيادية للمناطق التي تقوم برعايتها، تطالب باستمرار بتقديم معلومات، صغيرة وكبيرة، استقصائية واستفزازية؟ ألا تعتقد أن عصابة الأسد تستفيد من هذه الضبابية بإطلاق تهم العمالة والتجنيد لصالح أجندات المخابرات الدولية وتعلن ليل نهار أن العاملين في مثل هذه المنظمات هم عملاء استخباراتيون يعملون ضد مصالح دولتهم الأم، التي أكلها ودمرها النظام وفساده وسلاحه وغباء أطراف من المعارضة التي لم تجد في التمويل مفسدة كبرى؟

معظم المنظمات التي كانت تعمل في غازي عينتاب هي نفسها تعمل في دمشق والأردن الان ويمكننا ان نعدها. هذا ما عدى المنظمات التي كانت تدعمها وزارة الخارجية الأمريكية مباشرة وهي معروفة ولن أقوم بسرد أساميها هنا. بالتالي اعتقد بأن ذلك يعتمد على شكل المنظمات وهذا موضوع كان على المعارضة التشديد عليه عبر إدارة اجندة الدعم. وهذا موضوع حاولت المعارضة ان تقوم به عبر هيئة تنسيق الدعم ولكنها فشلت في الحد منه.

حسب معلوماتك أو ما اطلعت عليه، هل تستخدم منظمات المجتمع المدني الدعم المالي، حسب ما يوافق المانحين؟ على سبيل المثال، هل يُحرم من الدعم الفئات التي حُسبت على التوجهات الاسلامية؟ هناك الكثير من اللغط المثار حول هذا الموضوع، هل نستطيع أن نصل لحقيقة ما يجري في مكاتب الدعم المركزية المتواجدة بعنتاب واسطنبول؟

صراحة، بالعكس أعتقد بأن الدعم المالي في الحالة السورية تم توجيهه نحو الإسلاميين. أعرف العديد من الأشخاص الذين رفضوا إقامة مشاريع في مناطق النصرة أو مشاريع يكون المستفيد منها تيارات إسلامية كالنصرة. في مرحلة معينة قامت الدول المانحة بالدعم الكامل للإسلاميين. في بداية النزاع قمت بإرسال إغاثة من كنائس كندية تعمل في أميركا اللاتينية على دعم الحركات الاجتماعية الكبرى المناهضة للرأسمالية ولم يكن لديهم أي مشكل في إرسال الدعم إلى مسلمين أو من لديه توجهات إسلامية مع أنه كان لهم مشكلة مع الدعم المرسل إلى قوى مسلحة وهذا مشروع. أنا أعتقد العكس، لقد تم تعويم الإسلاميين في سوريا، وبالذات القوى الراديكالية الإسلامية، وهذا جزء من فشل الثورة. وقعت الثورة بالأسلمة وهذا بالضبط ما أراد النظام تصويره وهو أن الثورة السورية ثورة دينية (ما خرجنا الا نصرة لهذا الدين) بدل أن تكون شعارات الثورة مثل بدايتها حول العدالة الاجتماعية والتحرر من الظلم. أنا شخصيا استقلت لأنني كنت أحاول العمل مع نشطاء مدنيين في إدلب وحلب على بناء مراكز اجتماعية (شبه علمانية) لكسر هذا الإصرار على أسلمة المناطق المحررة، وتم اقصاؤنا لأن القوى المسلحة الإسلامية تدخلت أكثر من مرة لسحق هذه التجارب. أنا لا مشكلة لدي مع الإسلاميين الديمقراطيين. في إطار نظام ديمقراطي نعترف به بحق الجميع بالعمل فلا يسعى احدهم لفرض اجندة مضادة للدين بالقوة، والعكس كذلك، لا مشكلة حتى مع السلفية الدينية، اذا اعترفت بحق الآخرين بممارسة حريتهم. ولكن ما حصل في مناطق الثورة كان العكس. وهنا المأزق.

هناك مطالبات مشروعة من منظمات المجتمع المدني للتوثيق والشفافية تُطالب بها الجهات التي تقوم برعايتها، بكل صراحة ما هو مقدار المصداقية التي تصل للمانحين من هذه التوثيقات والشفافية؟ كم هي نسبة التلاعب والهدر التي تقدرها؟ وبالمقابل من هي الجهة التي تطالب الجهة التي تقوم بعملية المنح، وهي هنا منظمات المجتمع المدني بمثل هذا التوثيق، خصوصاً من ناحية الجدوى وفعالية ما يتم الانفاق عليه ومدى مساهمته برفع جزء من المعاناة والسوية الاجتماعية المنوط بها للمنطقة التي يُتخذ قرار بدعمها. يعتقد كثير من السوريين أن هناك كمية هدر كبيرة جداً في مشاريع لا تفيد ولا تغني عن حجم الفاقة والمعاناة الكبيرة التي طالت السوريين.

لقد عملت على مبادرة مراقبة للمجالس المحلية السورية مع مجموعة كبيرة من السوريين كان هدفها مراقبة كل الاموال القادمة للمجالس المحلية وتحسين الشفافية وأعتقد أنها كانت فعلا ناجحة وقد تم الكشف عن حوالي مئة ألف دولار هدر وتم أخذ التدابير اللازمة.

أعتقد أن التوثيق ضروري ولكن على هذا التوثيق أن يكون لعامة الناس وليس فقط للمنظمات وهذا ما حاول ان يقوم به المرصد السوري للشفافية. كان بإمكانك حقيقة رؤية كل الذي تقوم به المجالس المحلية. التوثيق والشفافية التي تطالبه المنظمات الدولية هو لأن الاموال التي تصرف، هي أموال عامة وبالتالي من حق الناس الوصول اليها والتأكد ان الصرف يتم ضمن القانون وليس عبر الفساد. أعتقد بأن علينا كناس أن نعرف أيضا من يحصل على الأموال ومن أين لكي نعرف كيف نحاسب المجالس المحلية ودولنا أيضا. لا يمكننا أن نعرف مستوى الهدر دون أن نعرف مستوى الصرف وان ينشر الفرقاء موازناتهم على الانترنت. أنا من المؤمنين بذلك. يجب أن نطالب المنظمات الدولية بالشفافية المالية مثلما يطلبون من الفاعلين على الأرض تقديم التقارير، فليقدموا التقارير عن أعمالهم. المرصد السوري للشفافية فعلا قام بذلك.

ماهي انتقاداتك المباشرة للثورة السورية، أين هي المطبات التي لاحظت أنها وقعت فيها؟ هل هناك مبررات منطقية ومسوغات أرغمتها على الصورة التي وصلت اليها؟

كيف تصنف الناشطين الثوريين من حيث تبني القضية والكفاءة والفعالية بحمل رسالة التغيير؟

هناك العديد من المشاكل، برأيي المتواضع: المراهقة السياسية وسوء التنظيم:

ليس من المعقول وبعد سنوات طويلة، أن الثورة السورية ما زالت مقسمه ومشرذمة وهذا موضوع داخلي بحت. يتحمل الجميع عدم قدرتهم على العمل الجماعي.

لا يوجد مشروع سياسي: المعارضة للآن لم تنتج مشروعا سياسيا مقبولا في سوريا، فنجح النظام في تصوير الثورة على أنها مجموعة من الإسلاميين المتطرفين المدعومين من دول خارجية وبأن قوى المعارضة غير عقلانية.

لم يعد كافيا بعد وقت محدد من التبرير للمجموعات السلفية على أن العنف هو صنيعة النظام. فالسؤال الذي طرحه النظام على المعارضة هو: كيف ستحكمون بعدي؟

ولم يتلق الجواب ميدانيا، فكان الإسلاميون المتطرفون يحكمون الأرض والمعارضة المعتدلة منفية في غازي عنتاب وتتكلم عن الديمقراطية وحقوق الانسان. بالإضافة إلى ذلك لم تقم المعارضة بالحد الأدنى لجلب الاكراد صوبها في بداية الثورة.

فما المشكلة بالاعتراف بالكردية كلغة رسمية أو حتى اعطاؤهم حكما ذاتيا، على الأقل لجلبهم صوب الثورة أكثر من النظام؟

المشروع السياسي أصبح أكثر وأكثر مرتبطا بأحلام ترانس-سورية من نوع تأسيس الخلافة وهذا موضوع خسّر الثورة شرائح واسعة من الطبقة الوسطى ومن سوريون من أديان مختلفة. نجح النظام بتصوير المعارضة كمرتهنة للخارج وأنها تحمل مشروعا دينيا. لم تنجح المعارضة بأي شكل من الاشكال بمحاربة هذا الخطاب.

فشل في فهم الصراع الإقليمي: أعتقد بأن معظم «أصدقاء الثورة» كانوا بالمحصلة يستعملون الثورة لتصفية حساباتهم مع النظام وتحسين شروط هيمنتهم الإقليمية. لم تستطع المعارضة ان تمسك بخيوط توازن القوى الإقليمي بشكل يمنحها الشرعية الإقليمية، بينما نجح النظام بذلك.

اقتصاد الحرب وانتعاش تجارة الحرب والفساد

تحوّل الاقتصاد السوري خلال الأعوام الماضية إلى اقتصاد حرب، حيث الأولوية هي تأمين المواد الأساسية كالوقود والغذاء، وسط تراجع في نشاط العديد من القطاعات الإنتاجية. ويعرّف عالم الاقتصاد (فيليب لو بيلون) اقتصاد الحرب بأنه "نظام إنتاج الموارد وتعبئتها وتخصيصها لدعم المجهود الحربي".

يُعرف اقتصاد الحرب بأنه تغيير هيكلي في بنية اقتصاد الدولة التي تمر بحرب، بحيث يُخصص جزءٌ كبير من موارد الدولة لمواجهة نفقات الحرب والتسليح، في المقابل يُخفض الإنفاق العام، ليقتصر على توفير الاحتياجات الضرورية للمواطن، أي أن المشاريع التنموية والرفاه الاجتماعي وغيرها من الأنشطة التي تشرف عليها الدولة، تتراجع وتصبح أمورًا ثانوية. لذلك يعدّ "اقتصاد الحرب" اقتصادًا غير إنتاجي في جوهره، وخصوصًا أنه يعتمد على المساعدات الخارجية، وتتحكم فيه شبكات المصالح المتوزعة، بين قطاعي المال والأعمال وبين مؤسسات الدولة والحكم. وهو الذي يضغط على الخيارات الاقتصادية العامة ويحدد اتجاهاتها.

اقتصاد الحرب في سورية

يؤكد تقرير صندوق النقد الدولي حول (اقتصاد الصراع في سورية) أن الحرب أعادت البلد عقودًا إلى الوراء، من حيث التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية.

وأن الناتج المحلي الإجمالي في سورية اليوم أقل من نصف ما كان عليه قبل بدء الحرب، وقد يستغرق الأمر عشرين عامًا أو أكثر، لعودة سورية إلى مستويات الناتج المحلي الإجمالي قبل الصراع. وفي حين أن إعادة بناء البنية التحتية المادية المتضررة ستكون مهمة ضخمة؛ فإن إعادة بناء رأس المال البشري والاجتماعي في سورية سيكون تحديًا أكبر ودائم.

وفي دراسة البنك الدولي حول (خسائر الحرب: الآثار الاقتصادية والاجتماعية للنزاع في سورية) إن "نحو ٢٧ بالمئة من مجموع الوحدات السكنية قد دُمّرت أو تضررت جزئيًا"، كما "تضرر نحو نصف مجموع المنشآت الطبية جزئيًا".

وتقديرات البنك الدولي تفيد بأن "٦ من بين كل ١٠ سوريين يعيشون الآن في فقر مدقع، بسبب الحرب". ويلحظ كذلك فقدان نحو ٥٣٨ ألف وظيفة سنويًا في الفترة الممتدة من العام ٢٠١٠ حتى العام ٢٠١٥. ويقول إن ثلاثة من أصل أربعة سوريين في سن العمل، أي ما يقارب تسعة ملايين شخص، لا يعملون أو غير منخرطين في أي شكل من أشكال الدراسة أو التدريب.

وقد ارتفعت نسبة تضخم الأسعار، حيث بلغ متوسط تكلفة المعيشة الشهرية في دمشق حوالي ٣١٧ ألف ليرة سورية (ما يزيد قليلًا عن ٦٠٠ دولار) شهريًا. ومع ذلك، فإن متوسط الراتب الشهري للموظف الحكومي يراوح عند ٤٠ ألف ليرة سورية (أقل من ٨٠ دولارًا) . ونتيجة لذلك، أجبرت الغالبية العظمى من أولئك الذين يعيشون في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة على شغل وظيفتين أو ثلاث وظائف، من أجل تدبير نفقات المعيشة.

بسبب غلاء المعيشة في سورية؛ توجه عدد كبير من العاملين بالحكومة، إلى الحصول على دخول خفية، بممارستهم أعمالًا لحسابهم الخاص، سواء بالتغيب عن أعمالهم الرسمية، أو خلال أعمالهم الرسمية لمواجهة أعباء التضخم وعدم القدرة على الهجرة للخارج. ولقد غزت "النشاطات السوداء" كل القطاعات الاقتصادية، منها الأعمال الحرفية، وتجارة التجزئة، والنقل، وخدمات الأعمال، والخدمات المهنية والشخصية.

شهد الاقتصاد السوري تحولًا استثنائيًا في مؤشراته الكلية من جرّاء الأزمة التي تمر بها البلاد، حيث ألقت هذه الأزمة بظلالها على الموازنة العامة، والاقتصاد الكلي عامة، وضاعفت حجم الضغوط على شبكة الأمان الاجتماعي، وزادت أعباء الدعم، ووسعت نطاقه، على نحو عاد به إلى نموذج السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، على الرغم من تغير اتجاهاته الأساسية. وتحوّلَ الاقتصاد السوري إلى اقتصاديات، حيث ارتبط اقتصاد كل منطقة بالدول الداعمة لها، فعلى سبيل المثال، ارتبط اقتصاد الشمال بتركيا، والجنوب بالأردن، واقتصاد دمشق بلبنان.

الخسائر الاقتصادية التي تكبدتها سورية، خلال الأعوام الخمسة الماضية، من جراء الحرب، تصل إلى ٢٥٤,٧ مليار دولار، وتعادل ٤٦٨ بالمئة من إجمالي الناتج المحلي للبلاد في عام ٢٠١٠. ويعدّ هروب رؤوس الأموال أحد أسوأ الانعكاسات الاقتصادية للحرب، وهرب ما يقدّر بنحو ٢٢ مليار دولار من رؤوس الأموال للخارج. وزاد الانكماش في عام ٢٠١٦ بنسبة ٢٥ بالمئة، أي وصل إلى ما يقارب (٦٥ بالمئة)، بسبب استمرار توقف حركة التجارة ونقص المعروض من الليرة السورية والانخفاض الحاد في قيمتها.

كما انتشر في سورية نوعان من الاقتصاد خلال الحرب: (اقتصاد الظل) وهو اقتصاد متنوع الأشكال، لكنه يعمل وفق مبدأ واحد، هو مبدأ (السرية)، وهذا الاقتصاد متعدد الغايات، وتوجد فيه كافة أشكال العلاقات الاقتصادية. كما تنتشر فيه كافة أنواع الفساد والجريمة، وأغلبه يعتمد على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة). أما الاقتصاد الثاني فهو (اقتصاد الصمود) أو (اقتصاد التأقلم)، وهو الاقتصاد الذي يوظفه النازحون والناس العاديون الذين يعيشون، ويتأقلمون مع ظروف الحرب وتداعياتها؛ فيضطرون إلى أن يتأقلموا مع الظروف الجديدة.

ومن الظواهر الاقتصادية الجديدة أيضًا، التحولُ في الثقل الاقتصادي من العاصمة أو من حلب إلى طرطوس واللاذقية في الساحل السوري، حيث لجأ إليها رجال أعمال ونازحون هربًا من المعارك، وأسسوا مشاريع اقتصادية. وقدمت الحكومة تسهيلات اقتصادية لتأسيس مشاريع في مدن ساحلية أو نقل مصانع من "الداخل"، إلى "الساحل" الذي يتمتع بانتعاش وأمان وإعمار غير موجود في باقي مناطق البلاد. وصار هناك اقتصادان إضافيان: واحد في "منطقة الساحل"، والآخر في "مناطق الداخل".

التحول من اقتصاد الحرب إلى تجارة الحرب في سورية

يشبّه بعض الباحثين اقتصاد الحرب في سورية بأنه "استمرار للاقتصاد بوسائل أخرى"، وهذا يعني التحايل على الاقتصاد النظامي، ونمو الأسواق غير النظامية والسوداء، وتفشي الفساد، واستغلال اليد العاملة.

كما أنه اقتصاد يتّسم باللامركزية، ويزدهر فيه الاعتماد على التهريب حيث انتشرت ظاهرة السوق السوداء التي تعدّ أحد النشاطات الخفية للسوق. وقد وفّر تطور التجارة الإلكترونية إمكانات أكبر للقائمين بالأعمال الخفية، في الاستفادة من المعلومات، والسرعة، والإخفاء، والبريد الإلكتروني، والحسابات السرية في البنوك، والأرقام السرية للملفات، والشفرات، وإمكانية عرض المواد السوداء، عبر التجارة الإلكترونية، وتجارة السلاح.

تغيرت الجغرافيا السورية خلال الحرب، وأسفر الفقدان التدريجي للسلطة المركزية عن تفكك الاقتصاد، وفتح أبواب أسواق جديدة أمام الجهات الفاعلة الأخرى.

ويرى معظم السوريين أن الحرب أنتجت أنواعًا من التجارة السوداء، وظهرت طبقة جديدة من التجار (تجار وأمراء الحروب والأزمات) وأصبح الفساد والسوق السوداء وأعمال الخطف والحواجز مصادرَ دخلٍ لعدد كبير من تجار الحرب الجدد الذين يستغلون الحرب في سورية، لإنعاش التهريب وتجارة السلاح. وقد صعدت فئات جديدة إلى أعالي الهرم المعيشي في البلاد، بينما يعاني معظم الشعب السوري من أحوال تزداد تدهورًا يومًا بعد يوم.

كانت أحد أسباب لجوء السوريين تدهور الوضع الداخلي والفساد (أربعة ملايين لاجئ سوري)، حيث حددت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين تدهور الوضع الداخلي وفقدان الأمل والظروف المعيشية المروعة كعاملين أساسيين للجوء. ومن بقي في داخل سورية يعيش أزمات متتالية حتى يعجز الكثير منهم عن تدبر معيشتهم اليومية، ليتم الاستعانة بالمعونات الدولية أو اللجوء إلى أعمال في "اقتصاد الظل".

انتعشت تجارة الإغاثة أو (تجارة المساعدات الإنسانية) حيث نسمع -يوميًا- عن شكاوى من المواطنين الذين لا تصل إليهم المساعدات. فالفساد في عمليات الإغاثة مرتفع بشكل كبير، حيث تباع مواد الإغاثة في الأسواق، ويتم توزيعها لغير مستحقيها أو تبديلها بمواد تالفة أو قريبة الانتهاء أو أقل جودة، أو يتم التلاعب بها بأشكال وطرق كثيرة.

ويكفي أن تتجول في الأسواق، لتشاهد المساعدات المقدمة للنازحين تباع على الأرصفة، وفي المحالّ التجارية وبشكل مكشوف.

كما يتم التلاعب من قبل الجهات التي يتم من خلالها شراء المواد الإغاثية وإيصالها إلى سورية، حيث تتورط بعض المنظمات بفساد التعاقد من الباطن والاحتيال في المشتريات.

وأنتجت أزمة النزوح طبقةً جديدة من الفاسدين، يتصدرها تجارٌ يُطلق عليهم في الأسواق وصف "الحيتان"، وهؤلاء مهمتهم عقد الصفقات مع الجهات الإغاثية، وشراء المساعدات الأممية للنازحين وبيعها في الأسواق، أو استبدالها بأخرى. إضافة إلى استقطاع مبالغ مالية تصل إلى ٤٠ في المئة من حصة كل نازح من الأموال التي وفرتها لهم برنامج إغاثة النازحين.

كما ظهرت تجارة السفر والهجرة، حيث انتعشت بعد أن أصبحت الهجرة إلى الغرب هاجسًا لدى قسم واسع من السوريين، بسبب عوامل كثيرة، كانعدام الأمن وقلة فرص العمل والملاحقات الأمنية وجرائم الفصائل المسلّحة والخدمة الإلزامية وغيرها.

وفي ظل الصعوبات التي تقف في وجه حصول الراغبين في الهجرة على تأشيرة نظامية؛ ظهرت تجارة السفر أو (تجارة اللجوء) كحلٍ بديل باسم اللجوء الإنساني، من خلال المهربين الذين هربوا أعدادًا كبيرة من السوريين عبر رحلات بحرية لشبكات الاتجار بالبشر.

مع انتشار شبكات المهربين، نشطت (تجارة تهريب اللاجئين)، وأصبحت أكثر تنظيمًا وخاصة المافيات الكبيرة.

حيث ازدهرت أنشطة عصابات تهريب الأشخاص وإدخال العائلات السورية والفلسطينية بطرق غير شرعية عبر المعابر الجبلية إلى لبنان، مقابل أموال كثيرة. وقد صرح مصدر أمني لبناني، أن عمليات التهريب تزايدت في ظل إجراءات الأمن العام المعقّدة، حيث تضاعف أعداد العاملين في التهريب، حتى بلغ عددهم أكثر من ٧٠ مهرّبًا يهربون يوميًا بالاتجاهين أكثر من ٣٠٠ شخص.

ونشطت عصابات الاتجار بالبشر، حيث ضبطت إدارة مكافحة الاتجار بالأشخاص، في العاصمة السورية دمشق، العديدَ من العصابات التي تمتهن الاتجار بالبشر، وبخاصة في تهريب الفتيات إلى دول عربية وأجنبية، للعمل في الدعارة والمتاجرة بها. وقد قدّرت وزارة الداخلية السورية أن عدد حالات الاتجار بالأشخاص والمضبوطة في عام ٢٠١٦، بلغت نحو ١٥٠٠ حالة، معظمها لشبكات تعمل خارج سورية، وتتواصل مع سوريين في الداخل، مشيرة إلى أن نسبة الضحايا من النساء بلغت ٦٥ بالمئة من إجمالي الحالات التي تم ضبطها.

كما ازدادت بشكل كبير (تجارة الأعضاء البشرية)، ويقول أطباء وضحايا أن الاتجار بالأعضاء البشرية أصبح منتشرًا في سورية والدول المجاورة لها، وأن هناك شبكات تعمل بين عدة دول وتستغل آلاف السوريين اليائسين. حيث تشتري هذه الشبكات أعضاء قابلة للزرع، مثل الكلية وقرنية العين من أشخاص سوريين، وتشحن هذه الأعضاء إلى إحدى دول الجوار.

وازدهرت (تجارة الآثار) السورية عبر العالم إلى حدٍّ بعيد، ويصف خبير آثار دولي، تمكّنَ من الاطلاع على قطع أثرية سورية في أوروبا، بأن السوق السوداء للآثار "أتخمت بالتحف السورية"، وأن الأسعار لبعض القطع بدأت تتراجع بدلًا من أن تتقدم، نتيجة حضور القطع المهربة خارج الجغرافية السورية بقوة وبكثافة في مجمل الأسواق السوداء للآثار في أوروبا وسواها، وذلك بالدرجة الأولى عن طريق لبنان. ويضيف "كما هو معلوم، لا يقتصر عمل مافيات الآثار على شراء القطع من البائعين غير القانونيين، بل يصل عملها إلى تزوير الأوراق والشهادات اللازمة لتحويل القطع المنهوبة إلى قطع قانونية، وهذا ما حصل بالنسبة إلى القطع المعروضة في مزاد (سوثبيز)".

وقد نشطت سوق (تهريب المخدرات والأموال) بدرجة كبيرة بين لبنان وسورية، وفي مقال لعلي الأمين حول (سورية ولبنان وتجارة الحرب من السلاح إلى المخدرات) يقول: "خلال الأعوام الماضية، جرى إخراج كميات كبيرة من الذهب والأموال والآثار من داخل سورية إلى لبنان، هذه التجارة غير المشروعة ليست حكرًا على طرف دون آخر.. على أن ما يتم تناقله أن الحرب السورية أطلقت العنان لظاهرة "أمراء الحرب"، فصناعة المخدرات وتجارتها باتت تنطلق من الأراضي السورية، وتشير أوساط أمنية لبنانية إلى أن عمليات التصنيع والتهريب تنطلق من سورية في اتجاه لبنان والعالم، ولفتت إلى وجود العديد من المهربين والملاحَقين من قبل الدولة اللبنانية، في مناطق سورية محاذية للبنان".

أما أعلى نسبة للفساد فكانت في (تجارة البناء)، حيث بدأ السماسرة وتجار عقارات "الحروب" بالاستفادة من عوامل كثيرة، أهمّها حاجة الكثير من المالكين إلى البيع، بسبب الرغبة في الهجرة أو بسبب تضرر العقار نتيجة الحرب وعدم القدرة على إصلاحه.

وبينما تركز الحكومة على تصوير البلاد على أنها منفتحة على الأعمال التجارية، لا يتم القيام بالكثير للتصدي للأنشطة غير المشروعة التي تساهم في اقتصاد الظل، سواء من خلال السوق السوداء أو من خلال الأرباح التي يحققها الآلاف من الدولارات من خلال نقاط التفتيش.

كما أنها لم تتصدَّ لـ "أمراء الحرب" الذين استفادوا من الوضع الراهن حيث يوفرون مصادر مهمّة للتمويل لداعميهم. ومن الصعب أن نرى كيف يتخلون عن الفوائد التي اكتسبوها. والواقع أن كل التفاصيل تقريبًا في الحرب تتعرض للضغط من أجل الربح.

وقد خلص خبير عمِل في حروب داخلية، إلى أنه يجب عدم التقليل من "دور أمراء الحرب، لأنهم يرفعون ثمن خيارات سياسية للاعبين الدوليين والإقليميين" في سورية.

وقال أحد الخبراء إن "للسلام في سورية جاذبية قليلة جدًا، حيث إنّ هناك جاذبية للحرب واستمرار الفوضى، وإن عملية صنع السلام عملية (قذرة) لا يحبّها أمراء الحرب، لكنهم يملكون مفتاحًا لها".

تجارة الحرب والفساد

لا تستغني الحربُ عن الفساد، ففي كل الحروب، تظهر عمليات فسادٍ كبيرة، كصفقات بيع الأسلحة لطرفَي النزاع أو استنفاد موارد الدولة من قبل العصابات، كما أن الفساد أيضًا لا يستغني عن الحرب؛ فعندما تنتهج الدول مبدأ مكافحته، تقنّع عمليتها بمصطلح: "الحرب على الفساد"، كمدلول كامن يُعزّز العلاقة الوطيدة بين الحرب والفساد.

يشكل الفساد منظومة كاملة ومتكاملة، أسهم في الإثراء غير المشروع، وأحدث في السنوات القليلة الماضية حالةً من الاحتقان الاجتماعي. وما سلِمَ حتى الآن من نار الحرب يعبثُ به الفاسدون في مؤسسات الدولة وتجار الحرب، لينحدر الاقتصاد من سيئ إلى أسوأ.

وقد أكدت منظمة الشفافية الدولية أن سورية تراجعت في مجال مكافحة الفساد في ٢٠١٦، حيث حلت سورية في المرتبة ١٥٤ من بين ١٦٧ دولة، من حيث "الشفافية"، لتكون من أكثر الدول فسادًا، وأقلها أمنًا، في العالم.

وفي غياب مؤسسات سياسية فاعلة تزاول الرقابة والمحاسبة؛ يتفشى الفساد ويزداد في ظل تحول الاقتصاد إلى اقتصاد حرب، حيث تحول الكثير ممن يسمون أنفسهم "رجال أعمال جدد"، إلى رجال أعمال يصرفون جلّ اهتمامهم إلى البحث عن طرقٍ وأساليبَ، تمكّنهم من زيادة حجم ثرواتهم، حيث انتشرت ظاهرة "بارونات الاقتصاد الموازي".

عندما تتحوّل الحرب إلى تجارة رابحة، وباب استرزاق لدى البعض؛ يصبح المشهد أكثر تعقيدًا وتداخلًا، وتضاف أسباب وعوامل لاستمرار الحرب وعدم توقّفها، مع نشوء طبقة من المنتفعين وأصحاب المصالح، خصوصًا عندما يكون المستفيدون هم من ضمن أطراف الحرب، والمتحكّمين بها ميدانيًا وسياسيًا، من داخل مطبخ القرار.

بعد انتهاء الحرب في سورية؛ سيكون لدينا حرب جديدة في القضاء على الفساد. فالحرب على الفساد تقتضي أن يكون للحكومة استراتيجية وطنية في الحكومة الرشيدة ومكافحة الفساد، تقوم على إشراك المواطنين والمجتمع المدني والإعلام والقطاع الخاص في صوغ هذه الاستراتيجية الوطنية وتنفيذها، وعلى وضع حدّ لثقافة الفساد، وعدم قبول الفساد الصغير، لأنه يسمح بوجود الفساد الكبير.

شذى ظافر الجندي

«وهَيْ حالتنا هيك»

«سنة ٢٠١٣، تركت بيتي في الغوطة، وطلعت. لحدّ هداك الوقت، كنا أنا وزوجي وولادي قاعدين ومرتاحين ببيتنا؛ كنا مبسوطين ومناقصنا شي، الحمدلله...خير كتير ورزق كتير. كان زوجي يشتغل بالتجارة وبالأراضي، ووضعنا كتير منيح، وعنا أراضي وبيوت. لكن، ما عاد في شغل، وصارت الحياة صعبة، وخلصنا كل المصاري اللي معنا، والأسعار ارتفعت كتير. قرر زوجي يشتغل على سيارة، حتى يأمّن معيشة الأولاد. كنت كتير خايفة عليه؛ لأنو بهديك الفترة... إللي بيطلع من بيته؛ بيتعرض لخطر الاعتقال أو الإصابة بسبب القصف. طلع أول نقلة بالسيارة ومشي حاله، ورجع عالبيت، ثاني مرة طلع، ومارجع!!.

كان الناس يطلعوا بالمظاهرات، لكن زوجي ما كان يطلع معهن. كان يخاف إذا صار له شي كيف رح نعيش من بعده. بعد سبع شهور من غيابه، طلع قريبه من السجن، وقال لي: إنه من أول عشرة أيام استشهد زوجي تحت التعذيب. صارت الأحوال في غيابه كتير صعبة. مابقي عنا شي ناكله، قررت آخد ولادي، واطلع من الغوطة. ضلينا فترة في عدرا الصناعية، ضاقت علينا الأحوال فيها أكتر، ما ضل عنا شي... لا أكل، ولا دوا ، ولا خبز، ولاشي فقررنا نجي عالسويداء.

استأجرنا بيت وصار ابني الكبير يشتغل بمطعم حتى نقدر نعيش، صار معه وجع بضهره من كثر الشغل وحمل الأشياء الثقيلة. برمضان إجاني شوية مصاري، ودّيّنت فوقن شوي، وقررت ابعته لعند عمه بتركيا؛ ليتعالج. وسافر ابني، وبلّشت أنا وبنتي الكبيرة نشتغل بالخياطة والتطريز. أنا وضعي الصحي كتير تعبان، بس عم بشتغل حتى أمّن آجار البيت، وطعمي الولاد، إذا ولد مرض مابقدر آخده عالدكتور، وهَيْ حالتنا هيك!

مابعرف، إذا رح أقدر سامح الناس اللي عملو فينا هيك، مات زوجي، وجاعو ولادي، وتشردنا... كيف بدي سامح؟ بس لازم الناس بالأخير تفهم على بعضا، ويحطو ايديهن بايدين بعض، ويبنو هالبلد، بس قديش بدنا وقت!

لما طلعنا من بيتنا، أخدنا معنا المفاتيح، وسألنا حالنا: رح نرجع؟ وهلق بقول لحالي بعد سنتين ونص نزوح: معقول يصير فينا متل الفلسطينية؟!".

أم حسن (عربين)

تسول أم مجرد امتداد للحرب؟

على أوتوستراد العدوي تقف بنية في حوالي العاشرة من عمرها، قُصّ شعرها على عجل بنزق وعدم احترافية. أسألها "أنت بنت؟"، ترد بعصبية وخوف ما دخلك! وتشد طرفي جاكيتها العتيق إلى بعضهما.

أحاول طمأنتها، لكنها تحاول التملص. بعد حصار تقول بأنها بنت وبأن أباها قص لها شعرها وأمرها بإحكام إغلاق جاكيتها والتصريح بأنها صبي. تطلب مبلغاً محدداً، خمسون ليرة، ولا تمانع بأكثر.

قالت لي أن المارين بسياراتهم يمنحونها الطعام بشكل دائم، وشددت: "موز وأكلات طيبة وخبز وكلشي".

وفي المساء تمنح الغلة لأبيها. لم تسرّ لي قيامها بتوفير بعض الغلة لنفسها دون علم أبيها، لكن أخاها قال بأنه نادراً ما يتواجد طعام في البيت، وإن وجد فهو رز أو شوربة أو مجدرة، لذلك يلجأ هو واخوته لاقتناص ثمن سندويشات الشاورما أو الفطائر وأحياناً يعمرون وجباتهم الباذخة بعبوات الكولا.

في مشروع دمر تستوطن هالة زاوية المجمع، تجيء قبل الموظفين وترحل بعدهم، تستقبل المتسوقين منذ لحظة ترجلهم من سياراتهم لتبيعهم سورة ياسين.

أغلبهم ينقدها مبلغاً ما ويتركون لها السورة، أسالها "ماذا تبيعين؟"، تقول: "قرآن!"، أسالها: "هل تقرأين القرآن؟"، تقول بأن لا، فهي لا تعرف القراءة ولم تدخل المدرسة من أصله.

تتكتم على باقي الأجوبة التي أحاصرها بالسؤال عنها. ويبدو جلياً أن التسرب من المدرسة ملازماً للتسول.

يقول لي أسامة: "نحن لا نتعلم ونخاف من المدرسة"، أساله: "من أنتم؟"، فيقول: "نحن نشحد وبس".

تطورت مهارات التسول بطريقة أكثر لباقة بحيث توحي بالكرامة والأنفة. تطرق يافعة على الباب، لا تقول لك معي بسكويت للبيع، بل تكرر اللازمة المحفوظة والمطلوب ترددها: "أسكن في مركز إيواء أبي ميت وعندي خمس أخوة وأمي مريضة"، تسألها عن عمر أصغر أخ فتقول سنتان، وعن تاريخ موت أبيها فتقول خمس سنوات، تختل الرواية، تكتشف اليافعة هول الفخ الذي استدرجتها إليه، بغضب ونفاذ صبر تسألني بدك تشتري أو لا؟ اسألها عن المدرسة تقول بأنها في الصف الثامن، تدرس صباحاً وتبيع البسكويت مساء.

أشتري منها بسكويتاً تتردد في منحه لي. نفس الحكاية تتكرر، يحتفظون بالبضاعة ويريدون نقودا فقط، إعادة تدوير لما يملكونه، أو لما يطلب إليهم شكلياً بيعه.

لكن بائعة البسكويت تخرج عن منحى المتسربين، أتأكد من اسم المدرسة، مقابل المركز تقول لي، فأجزم بصدق كلامها، غير متسربة، رائع، ولكن ماذا عن حصتها من الإنفاق على وسائل التعليم؟
ماذا عن مقعدها والاكتفاء العلمي؟

إذ وصل عدد الطلاب في الصف الواحد في بعض المناطق إلى سبعين طالباً، يجلسون خمسة طلاب في كل مقعد.

هذا عدا عن غياب أية فرصة حقيقية في التحصيل والتركيز واكتساب المعلومات أو المعارف.

في الحديقة العامة تحجم فتاة عن الصعود إلى الزحليطة، تقول لي كلن زعران! هم ثلاثة متسولين، قرروا الاسترخاء واللعب، خلعوا أحذيتهم الضيقة وصاروا يتزحلقون وبالعكس لدرجة أن عنفهم وأصواتهم العالية أجفلت كل الأطفال في الحديقة.

أحدهم ترك المدرسة من الصف الثالث وهو الآن لا يعرف كتابة حتى اسمه، يعمل كمرشد لأقرانه حين يتولى مهمة قراءة اسم الحافلة التي سيعودون بها إلى بيوتهم التي قد تكون مجرد ركن في العراء، وغالبا ما يعودون سيراً على الأقدام خاصة في حالة تصرفهم بجزء من الغلة لشراء طعام أو شراب أو سيكارة في أحيان أخرى.

في الحرب تتحول الشريحة الكبرى إلى التسول وإن بطريقة غير مباشرة، على باب الفرن يقول الصبي، خالة مشتهي رغيف خبز سخن ،وتقول المرأة معك تدفعي عني إيجار السرفيس ،وتقول الفتاة عندك زوج جوارب زائد عن حاجتك؟ كلهم يقولون والحرب هي التي تنطقهم ،تحكمهم وتتحكم بحاجاتهم فيدخلون جميعا في متاهة العوز الفائق واليومي والمتفاقم .

خمسة فتية ،اثنان منهم بحقيبة مدرسية على الظهر يتوجهون نحو بناء قيد الإكساء، يصرخ بهم رجل مسن ،إلى أين ذاهبون؟
يقولون له نحن عمال بناء، لكنه يمنع صاحبي الحقائب المدرسية من اللحاق بهم ،يدفعهم خلفا ويأمرهم بالتوجه إلى مدرستهم، يبررون بأن الأستاذ غائب، وبأن المدير طلب ولي أمرهم وليس لهم أهل، يزجرهم فيرحلون وينتظرون دقائق حتى يرحل ويلتحقون برفاقهم ليس لمشاركتهم العمل بل للتفرج على فيلم خلاعي على جوال أحدهم والتدخين بعد أن تشاركوا بشراء باكيت سجائر رخيصة الثمن.

على أبواب المدارس يتفرق الطلاب بعد أن توصلهم الحافلات الخاصة، كانوا قد رتبوا لنزهة في الحديقة، لإفطار جماعي وربما لمعاكسة طالبات مدرسة أخرى، طلاب يدفع لهم أهاليهم كلفة الحافلات الخاصة والحقائب والدفاتر والأقلام، لكنهم يتسربون بصورة غير معلنة.

أسال أولاد الشوارع عن رغبتهم بالتعلم، يقولون لا، لا قاطعة بذريعة أن كل الطلاب الآخرين يسخرون منهم، من أشكالهم وثيابهم القذرة وملابسهم العتيقة ،يخافون من عصي المعلم والمدير ومن طلب أولياء أمورهم وهم لم يعودوا بقادرين حتى على تذكر كنياتهم وأسماء أمهاتهم.

في ساحة باب توما، يسقط طفل مغشياً عليه بعد تنشقه لمادة لاصقة، يعمل بنقل الأغراض على عربة صغيرة، يشتري بما يجنيه مادة لاصقة في كيس بلاستيكي صغير يتنشقها بشراهة حتى حدود الإغماء، لا يفكر بالمدرسة ولا بالتعليم ولا بمقاعد الدراسة أو الأساتذة والطلاب الأقران، كل ما يحلم به أن ينتشي باللاصق فيدخل في سرداب اللذة القاتل ويغفو على حلم بالتحليق نحو عالم بلا تعب ولا خوف ولا حاجة أو جوع.

متسولون هم، برغبة ورثوها عن بيئتهم كعمل ومصدر عيش أو قسرا جراء الحرب والتشرد والتهجير وضياع الأهل والطريق، تائهون، وتكر سبحة الضياع، تسول فتسرب، فمستقبل غائم وحاضر قاتم، والحياة سيّان، تمضية وقت لم يختاروا بدايته وليس بوسعهم اختيار توقيتات تفاصيله ولا حتى نهاياتها أبداً.

خاص "شبكة المرأة السورية"

سلوى زكزك

مشاهد

كلاكيت ١

عمرها عشرين سنة، أم لطفل عمره سنتين، أتت بالقارب مع زوجها وطفلها، وطفل في السابعة هو ابن شقيق الزوج. يقيمون في شقة صغيرة من غرفتين. الزوج يقضي يومه متسكعاً بين الجيران، مشاوير وسهر مع الشباب، والزوجة حبيسة الغرفة، ممنوع عليها المغادرة، أو التواصل مع الأخريات من الجارات، أو تعلّم اللغة، أو حتى التسوق، الزوج غيور، لا يسمح لأحد برؤية زوجته. لكن ذاك الغيور أعطى غيرته إجازة، في القارب الذي نقلهم من تركيا إلى اليونان، وفي طريقهم عبر اليونان ومكدونيا ووو، حيث القارب صغير والركاب ملتصقين ببعضهم، ومبللين بماء البحر وثيابهم ملتصقة على أجسادهم، ثم النوم على الأرصفة وفي الحدائق بأحسن الاحوال، وأخيراً الإقامة في خيمة مع عشرات غيرهم. استطاع غض البصر عن نظرات الفضوليين، وأن يكون لا مبال، وها هو يعود ليستعيد رجولته التي تخلى عنها لضرورات المصلحة.

كلاكيت ٢

صبية صغيرة ذكية وجميلة، الهجرة القسرية غيّرت حياتها لتدخل سوق العمل بدل الحرم الجامعي، عملت مترجمة في منظمة سورية. طلب منها مرافقة مجموعة من الشباب والشابات قدموا من سورية ومدن حدودية لحضور تدريب، في جولة في المدينة، قبيل سفرهم. كانت الأصغر بينهم وربما الأكثر نضجاً. انتهت الجولة، شكروا الصبية وودعوها وتبادلوا أرقام ووسائل التواصل. أحدهم سارع للاتصال بها بعيد تفرقهم ليعبر عن اعجابه الشديد بشخصيتها، متمنياً لها حياة سعيدة. صباح اليوم التالي، يرسل مسجات تضج بالغزل، ظهراً يعبر عن حبه، وبأنها فتاة محظوظة فقد استحوذت على قلبه، مساءً يستنكر عدم ردها على رسائله ويسأل «لماذا؟؟». مضيفاً.. «شو عم تعملي.. مع مين عم تحكي.. ما بصر تحكي حدا.. لا ترافقي حدا..... أنا بغار» «من وين لوين يا....»، الحل هو «بلوك»

كلاكيت ٣

يرن التلفون.. ألو
- كيفك ياسمين؟ أنا غيث
- بعتذر، ما تذكرتك
- التقينا من شهرين بتدريب الدعم النفسي
- هلا غيث.. الحمد لله على السلامة
- عزيزتي أنا بغازي عينتاب ولدي بعض الأعمال بدوائر الدولة، هل بإمكانك مساعدتي؟
- لا بأس.. نلتقي الساعة الواحدة، بعد انتهاء استراحة الغداء.
- شكراً لك.. بانتظارك.

تصل متأخرة قليلاً، يستقبلها بود وترافقه إلى البلدية ومديرية أمن الأجانب ووو، مدة ثلاث ساعات. بعد الجهد الذي تَسبَّبه للصبية، لياقة؛ عليه دعوتها إلى كأس شاي. اختارت مقهى وسط حديقة قريبة. كانت فرصة ليعبر الشاب الوسيم عن إعجابه الشديد بها منذ اللقاء الأول، «شهران مرا وأنا أنتظر فرصة لزيارة ثانية، أحبك ياسمين، لا أنتظر جوابك الآن. قريباً سيكون عملي هنا في عينتاب» توصله إلى موقف الباص وترجع إلى بيتها؛ تحدث نفسها: «كيف يغرم الشباب بهذه السرعة، هو لطيف ووسيم ومهذب جداً، لكني لم أشعر تجاهه بأي مشاعر مختلفة، ربما عندما نتعرف أكثر» تلاحقها رسائله وتلفوناته «شو بتعملي.. وين.. ليه.. لا يناسبني..»
- لماذا تحدثني بهذه الطريقة، هذا شأني.
- لكني أحبك.. هل لديك اعتراض علي؟
- وأنا؟!! .. قلبي لم يخترك.. أليس من حقي أنا أيضاً أن اشعر بالحب.

كلاكيت ٤

عمرها ٣٩ سنة، لم تتزوج ومنسجمة مع نفسها، غادرت مدينتها وعملها مثل الكثيرات وتفتش عن فرصة عمل وسط زحمة المنظمات. التقت برجل خمسيني، يحمل مؤهل علمي عال، ناجح بعمله واسع المعرفة، عرض المساعدة، فطلبت عملاً، قدم ما هو أهم من العمل، الضمان لمستقبلها، عرض عليها الزواج بعد أن أبدى عجابه، فهو رجل يمتلك من المؤهلات ما يكفي لقبوله بلا تردد أو تفكير، خاصة لفتاة في وضعها. المفاجأة أن الصبية لا تريد، اعتذرت بلباقة. يرد «إنك تخطئين بحق نفسك، إنك فتاة، بحاجة إلى رجل يكون لك سنداً» تعتذر ثانية، «لست راغبة بالزواج» كانت تتجنب استخدام عبارة «لم أحبك» حتى لا تتسبب له بحرج. طلبت منه عدم فتح الموضوع ثانية، فقرارها نهائي. لم ييأس؛ استعان بصديقتها لإقناعها «هي تجاوزت سن الزواج، وستمضي عمرها وحيدة، هي فرصة ربما لن تتكرر، فلتكن ذكية ولا تضيع الفرصة». تكرر الرفض، ويقتنع أخيراً.

من جديد يطلب المساعدة من الصديقة «للتعرف على فتاة أو سيدة, عمرها من ٢٨ حتى ٣٥ سنة».

كلاكيت ٥

إعلان: منظمة بحاجة إلى...
قدمت مليكة السي في، مؤهل جامعي، لغة أجنبية، تتحمل ضغط العمل، خبرة، وعناوين التواصل. يتصل المدير ويطلب أن تحضر لإجراء مقابلة. تصل في الموعد المحدد، يتحدث إليها ويتعرّف، هي امرأة تحاول إيجاد سبيل للعيش الآمن والكريم لها ولأبنائها. بعد أن أوصلها العنف ببلدها، كما أوصل المدير إلى هذا المكان مع اختلاف الظروف. المدير يماطل ويطلب لقاءات أخرى واختبار وفترة تجربة غير مأجورة، مكرراً شرح طبيعة العمل بأنه غير مقيد بساعات محدودة، سفر، تواصل واسع ولقاءات.. الراتب يحدد عند توقيع العقد. هي فترة تجربة؛ يتصل ويطلب من مليكة الحضور إلى بيته لأحذ ملف هام، عليه أن يسافر فوراً ولا وقت لديه، الطائرة ستقلع بعد أقل من ساعتين. ينبغي أن تصل بسرعة. تأتيه السيدة دون تردد، هو رجل محترم لا شكوك أو شبهة حوله، تقرع الجرس منتظرة أن يفتح وبيده الملف، يفتح يطلب الدخول لثوان، لا يصح أن تقف عند الباب، وسيغادران حالاً. تدخل وتنتظر أوراقه. يقدم القهوة ويبلغها بأنه أجّل السفر إلى المساء لأمر هام طرأ للتو!.

علياء الويسي

سامي الدروبي
الثقافة تطغى على السياسة

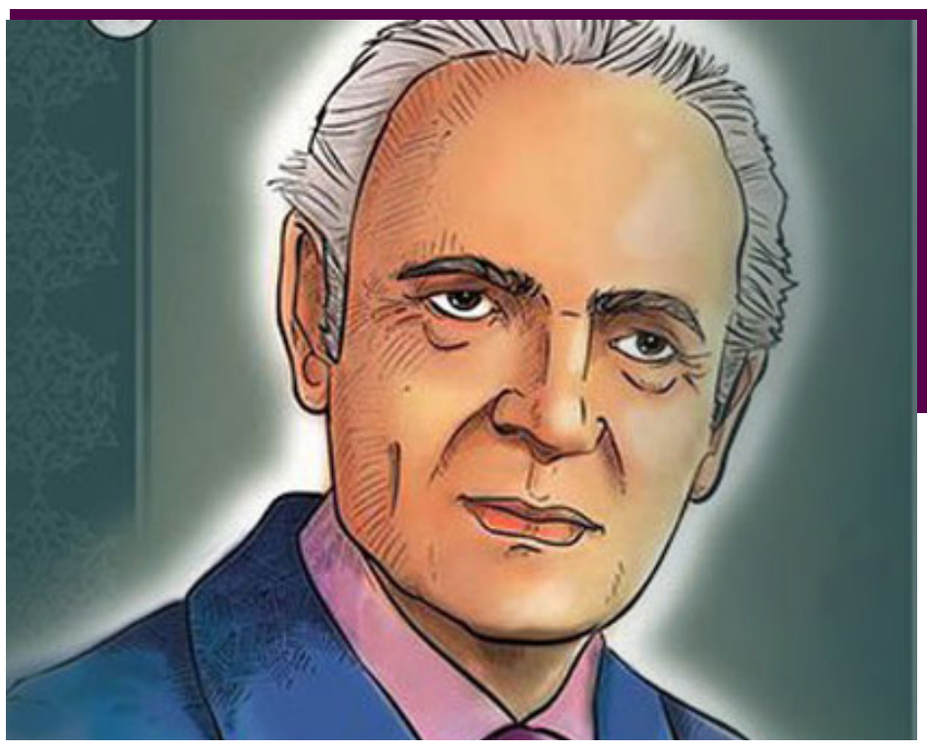

ولد سامي مصباح الدروبي في مدينة حمص، ربيع عام ١٩٢١، لعائلة عُرفت بحبها للعلم والثقافة ومواقفها الوطنية اتجاه الفرنسيين. نشأ في كنف والدته سامية السباعي وبين أخوته الذين كان لهم حظاً وفيراً من التعليم، إلا أنّ سامي كان الوحيد الذي سطع نجمه في تلك العائلة.

أمضى الدروبي الثلاثين عاماً الأولى وهو يتعلم كل ما أمكنه من علوم، فبدأ بتلقي علومه الابتدائية والإعدادية في مدارس حمص، لينتقل أثناء التحضير لشهادته الثانوية إلى «تجهيز دمشق، القسم الثانوي للبكالوريا». ثم تابع دراسته في دار المعلمين العليا لمدة عامين، في تلك الفترة مارس التعليم في مدارس الجولان الابتدائية، ليُعيّن معلماً بعد ذلك مباشرة في قرية المخرم الفوقاني في حمص، لكن عمله لم يستمر أكثر من عام واحد، لأنه قد أُرسل إلى مصر في أواخر١٩٤٣ ليدرس في كلية الآداب في القاهرة قسم الفلسفة ويتخرج منها عام ١٩٤٦. بعد إنهاء دراسته وعودته كانت سوريا قد استقلت عن فرنسا، فعُيّن مدرساً للفلسفة والمنطق بثانويات حمص، لينتقل في العامين التاليين إلى دمشق ويصبح معيداً في جامعتها. لكن في عام ١٩٤٩ تم إرساله إلى باريس لتحضير الدكتوراه في الفلسفة، ليعود عام ١٩٥٢ ويصبح مدرساً في كلية التربية ثم أستاذاً لعلم النفس.

كل ذلك التاريخ التعليمي أثر على نمط الدروبي العلمي ليصبح فيما بعد أحد أهم أعلام الثقافة السورية.

في تلك الفترة التي أصبح فيها مدرساً للفلسفة، وقع سامي عام ١٩٥٤ في الحب أثناء لقائه الأول داخل الحرم الجامعي مع إحدى الطالبات التي تدرس الإذاعة، وكانت تدعى إحسان بيات، وبعد أربعة أيام من ذلك اللقاء طلب الدروبي يد إحسان التي ستصبح زوجته حتى لحظة وفاته. تقول إحسان عن تلك الحادثة: «لعله كان أسرع قرار اتُخذ في قضية زواج قُدّر له فيما بعد أن يكون ناجحاً كل النجاح». وبالفعل بعد يومين من ذلك كان أن أُعلن عن خطوبة سامي وإحسان أمام الملأ. بعد الخطوبة طلب سامي من إحسان الاستقالة من عملها الإذاعي لتتفرغ كسكرتيرة له، وبالفعل لم ترفض إحسان طلبه، فقاما بأول عمل مشترك بينهما وهو ما سيفتح تاريخاً عظيماً من الثقافة لهذه البلاد، وكانت ترجمة كتاب مذلون مهانون لدويستوفسكي. كانت تجربة العمل المشترك قد وفرت على الدروبي الكثير من الوقت والجهد، فقد كان سامي يقرأ العمل من النص الفرنسي وتقوم إحسان بكتابته مباشرة باللغة العربية.
استمر زواجهما بنجاح قل مثيله لما يقارب العشرين عاماً فأنجبا ثلاثة أبناء، هم: ليلى، ومصباح، وسلمى.

بالإضافة إلى عمله في الترجمة، كان الدروبي يقوم بدور وكالة الأنباء في وقتنا الحالي، فقد كان عضواً في حزب البعث، وبعد حرب

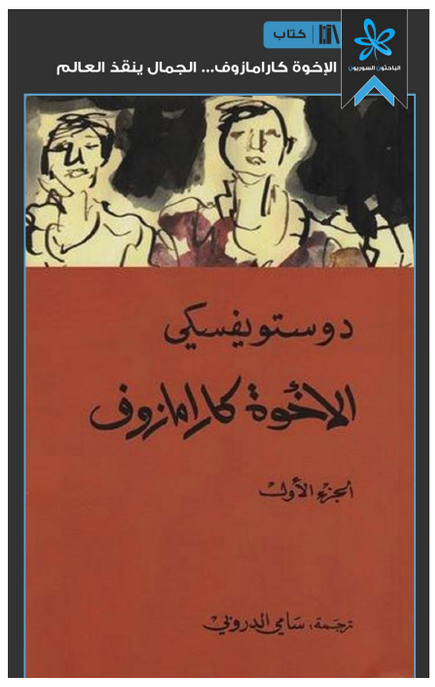

السويس عام ١٩٥٦ اتخذ الحزب قراراً بتحويل جريدته البعث إلى جريدة يومية لمتابعة الأحداث السياسية الطارئة، وكان المسؤول عن هذا العمل ثلاثة أشخاص، هم: عدنان الفرا، وعلي الأشقر، وسامي الدروبي. وكان الدروبي يخرج من جامعته متوجهاً إلى مبنى الإذاعة؛ ليستمع إلى الأخبار العالمية، ويكتب مع الأستاذ نجاة قصاب حسن بعض التعليقات على الأحداث، كما كان يترجم بعض الأخبار ليتم نشرها في الجرائد.

بقي مواظباً على ذلك العمل حتى قيام الوحدة عام ١٩٥٨ فتم إرساله إلى مصر كمدير في وزارة الثقافة ومدرس في جامعة القاهرة حتى عام ١٩٦٠، حين تم تعيينه كمستشار لجمهورية الوحدة في البرازيل حتى الانفصال، فعاد إلى دمشق، وفي تلك الفترة توفيت ابنته سلمى بحادث اختناق بالغاز أثناء الاستحمام، وهو ما ترك أثراً في نفس الدروبي؛ ليصب جل اهتمامه لنسيان تلك الحادثة في العمل السياسي السري، فقد كان رافضاً للانفصال من المبدأ الوحدوي المهم لتطور البلاد، وفي عام ١٩٦٣ تم تعيينه كوزير للتربية بعد انقلاب الثامن من آذار، فعاد إلى جامعة دمشق مدرساً، وبدأ بتولي المناصب، فعُيّن سفيراً لسوريا في المغرب عام ١٩٦٣، ثم سفيراً في يوغوسلافيا بعد عام واحد، واستمر في ذلك العمل حتى عام ١٩٦٦، حين تم استدعاؤه ليكون مندوباً في جامعة الـدول العربية. بقي في ذلك المنصب حتى إصابته بجلطة قلبية عام ١٩٧١ وهو في القاهرة، وبقي للعلاج ثلاثة أشهر قبل عودته إلى سوريا. في نفس العام قرر الدروبي إعطاء مكتبته إلى الجامعة السورية كهدية منه، وبعد تعافيه بفترة تم تعيينه سفيراً في إسبانيا وبقي في منصبه حتى عام ١٩٧٥ مع بقائه في عمل الترجمة وإنجاز مشاريعه الأدبية، حيث مرض بشدة في مدريد، فطلب إعادته إل دمشق، وبقي يعمل في حقل الترجمة والأدب رغم ظروفه الصحية القاسية، وأنجز خلال مسرة حياته ترجمة ما يعادل ١٧ ألف صفحة من أهم الأعمال الأدبية في العالم.

قبل ساعة من وفاته، تقول زوجته إحسان عن تلك الحادثة: نهض سامي إلى مكتبه رغم تعبه وهو يقول لها: إن هناك كلمة يجب عليه إصلاحها، فقد بقي في اليوم السابق يفكر بها طوال الليل لإيجاد المعنى المناسب، وبعد ذلك الحدث بساعة كان الدروبي قد أسلم روحه لباريه، وهو محاط بأولاده ليلى ومصباح في الثاني عشر من شباط عام ١٩٧٦.

في تأبين الـدروبـي حضر عـدد كبير من الشخصيات الثقافية السـورية والعربية والسياسية ومنهم نجلا عبد الناصر بالإضافة إلى وزراء ثقافة عرب وأجانب، لما كان للدروبي من مساهمة وتأثير في نقل الثقافة الغربية إلى العالم السوري والعربي.

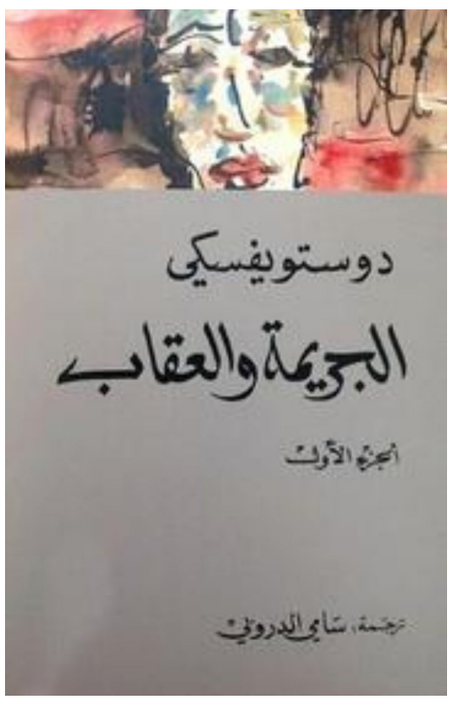

كان لسامي مساهمات كبيرة في كتابة المقالات والمخطوطات والتأليف والترجمات في الأدب والسياسية والتربية وعلم النفس والفلسفة. ومن أهم ما أنجزه مترجماً: « تفكير كارل ماركس \ المذهب المادي والثورة \ المجمل في فلسفة الفن \ منبعا الأخـلاق والدين \ مسائل فلسفة الفن المعاصر \ الضحك \ الطاقة الروحية \ الفكر والواقع المتحرك \ مدخل إلى علم السياسة \ معذبو الأرض \ علم النفس التجريبي \ سيكولوجية المرأة \ الأعمال الكاملة لدوستوفسكي \ الأعمال الأدبية الكاملة لتولستوي بالإضافة لترجمات متفرقة في الأدب الروسي».

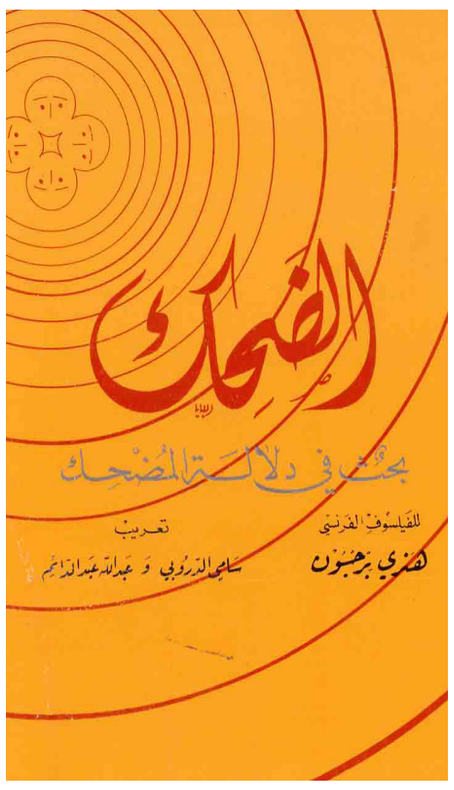

كما كانت لمؤلفاته حظوة الحضور ومنها: «علم النفس ونتائجه التربوية \ دروس علم النفس \ الموجز في علم النفس \ علم النفس والأدب، معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان \ علم الطباع، المدرسة الفرنسية \ الرواية في الأدب الروسي».

لقد عمل الدروبي خلال خمسة وخمسين عاماً من حياته في كل ما استطاع لتقديم فكره وإبداعه إلى سوريا؛ كي ترتقي إلى مصاف أعلى. ليس كشخص ناقل فقط، بل كأحد عباقرة الترجمة الأمينة القلائل في العالم.

ربما كان من الأجدر بالنسبة لبعضهم الحديث عن الدروبي كرجل وطني وله مواقف قومية ونضالية، لكن ذلك الجانب في شخصيته يوجد لدى أغلب السوريين الذين عايشوا مراحل سوريا في زمـن الاحـتـلال الفرنسي، لكن الدروبي المترجم، الذي عرف تماماً كيف يستفيد من الاحتلال ليقدم لسوريا جانباً ثقافياً مميزاً هو ما يستحق الحديث عنه، إنها تمكنه من اللغة التي احتله يوماً فأعاد تدويرها ليُنتج ثقافة مرسخة ما زالت حتى اليوم شهادة لا تُمحى.

على الرغم من أنه ترجم الأعمال الروسية عن الفرنسية، فإن ذلك قد كان بمثابة عبقرية فريدة، فلو أراد أحد أن يترجم عن اللغة الأم لما استطاع أن يقدم ما أراده الأدباء الروس بتلك القوة. لم تكن الترجمة بالنسبة إليه نقلاً من لغة إلى لغة؛ بل كانت تأملاً في المشاعر والجمال. لقد استحوذ دوستوفسكي على قلب الدروبي منذ أن كان في السادسة عشرة، ومنذ ذلك الوقت أراد أن تضم المكتبة العربية تلك الأعمال لما تحتويه من عمق فلسفي ونفسي. لقد عمل بجدية منقطعة النظير على ترجمتها، وفي عام ١٩٦٦ تم التعاقد مع وزارة الثقافة المصرية على نشر الأعمال الكاملة.

إن تعلّق سامي بدوستوفسكي كـان منبعه بالدرجة الأولى الاختصاص الذي درسه في فرنسا بعلم النفس، ذلك المزج الفريد بين أكاديميته وعشقه للأدب وإتقانه للفرنسية، خلق لديه هاجساً بالترجمة الأمينة، فلم يكن سامي يترجم إحساسه بل نظرته المتميزة والمقارنة النقدية لمدارس علم النفس وتطورها، وهذا ما فعله أيضاً مع تولستوي في ترجمة أعماله وأعظمها على الإطلاق كانت الحرب والسلم، حيث رسم ملامح شخوص ذلك العمل بطريقة جعلت منه أحد النصوص الخالدة في قلب مثقفي الوطن العربي.

يبقى سامي نموذجاً ساطعاً في تاريخ سوريا، لأنـه لم يقدّم فقط الثقافة بل الرؤية الحية والدرس الأبدي: إن العمل في أي مجال هو مساهمة في بناء البلاد والعقل والإنسان، إن حياة الدروبي هي درس حرية من نوع آخر من الصعب والمستحيل على أصحاب العقول المحدودة والمؤدلجة استيعابه.

خالد علوش

نقش في البورتريه
في دوستوفسكي

إن كل فنان مهما يكن مشدوداً بسلسلة من التخصصات إلى عالم خاص، يظل في نطاق هذا العالم الخاص متعدداً متكثّراً، فلئن صح أن يقال عن عالم دوستويفسكي إنه عالم أفراد من البشر معذبين ممزقين قلقين، وإن ذلك يرجع إلى ما يعانيه هو نفسه من قلق وعذاب وتمزق لعل له صلة بمرضه (الصرع)،

فإننا نظل نستطيع أن نسأل: أين الوحدة بل أيـن التشابه في الشخصيات المعذبة التي يصورها دوستويفسكي، من راسكولنيكوف في «الجريمة والعقاب» إلى بافيموف في قصة «نيتوتشكا نزفانوفا» إلى ميشكين «الأبله» إلى أمير «المذلين المهانين» إلى أليوشا (الإخوة كارامازوف)؟

ولو كان الكاتب لا يخرج من نفسه، ولا يصور إلا نفسه، فكيف يستطيع أن يصور نساء وهو الرجل؟، وأن يبلغ في الغوص إلى شعورهن ما بلغ؟.

الحق أن هذا هو ما يميز الإبداع الأدبي عن الخيال الذي يعمل في اختبار من اختبارات الشخصية.

إن دوستويفسكي لا يفعل مثل آدلـر أو فرويد حيث يركز كل منهما على ناحية من المنظومة النفسية ويهمل النواحي الأخرى، ولكن دوستويفسكي الأديـب يـدرك الدوافع كلها تصطرع وتتفاعل وتتناغم لتتألف منها سمفونية الحياة الأصيلة المتجسمة في فرد.

فإذا عزف لك هذه السمفونية نبضت حياتك الداخلية معها، وعشتها في ذات نفسك.

إن نيتوتشكا مثلاً مازوخية ولكنها لا تنسى برغم ذلك أن تثور في وجه حبيبتها كاتيا ثورة جامحة حين وجهت إليها هذه كلمة احتقار بصدد ثوبها الذي كانت ترتديه، وإنها لتشعر بغير قليل من الزهو إذ تتفوق على حبيبتها في تعلم اللغة الفرنسية بسرعة.

هنـا يتصالح فـرويـد وآدلـــر فـي حـدس دوستويفسكي، الفنان الذي لا ينظر إلى الواقع من أحد وجوهه وهو خارج عنه، وإنما ينفذ إلى داخله، فيراه كله دفعة واحدة، واحداً كثيراً في آن.

العالم الذي يعيش فيه دوستويفسكي، من حيث هو فنان، عالم أفراد من البشر يدرك دخائلهم ويعايشهم حياتهم، وينفذ إلى سرائرهم ثم يصورهم كما رآهم في حقيقتهم الفردية هذه.

وهو يلاحق هؤلاء الأفراد في اضطرابهم بين جنبات الحياة. يرى كيف يتصرفون وماذا يعانون وبماذا يحسون، وذلك كله من خلال الرواية التي يخلقها.

إن الشخصيات التي يصورها دوستويفسكي هي في الدرجة الأولـى شخصيات متمزقة متعبة معذبة مريضة.

وإذا اعتبرنا أن العالم الذي يعيش فيه الفنان يخضع لسلسلة من التخصصات فهو أولاً عالم الألوان والأشكال، أو هو عالم الأنغام أو هو عالم أفراد البشر، أو هو عالم الذات الحميمة، وهو ثانياً في نطاق هذا التخصص عالم الألم أو عالم الفرح أو عالم الشهوة أو عالم المرض، وهو في نطاق عالم المرض مثلاً يدور على عقدة أوديب أو عالمٌ يُرَى من خلال الشعور بالدونية، أو هو غير ذلك.

وبناء على هذا نستطيع تصنيف التخصص الثالث في العالم الذي يعيش فيه دوستويفسكي.

سامي الدروبي

المسؤول

قرع الباب همساً، وهمس: صباح الخير.
ابتسامة عريضة، وشكل جميل.
زوجتي: صباح الخير. تفضل.
- ألم يستيقظ المعلم بعد؟
لم أستيقظ؛ لأنني لم أغف في الحقيقة بعد...
كانت الساعة السادسة صباحاً. الشمس في هذا اليوم محرقة.
- صباح الخير، إنه موعد الحجامة...
- أهلاً وسهلاً...
- هل استيقظ السيد بشير؟
- لا ندري ...اتصلوا به...
زوجتي تتصل عبر الهاتف همساً؛ كي لا توقظ الأطفال. يرد السيد بشير...
أهلاً...صباح الخير...هل تصعد؟
ماهر شاب فقير طموح يتقن الحجامة، تعلمها لا أدري أين، وأنا شاب فقير لا أتقن الحجامة ولا أحبها.
يعمل هو في مؤسسة حكومية، وكذلك يعمل السيد بشير، ولكن هذا الأخير مدير...
أصدقائي منذ الطفولة، كلهم كانوا يشبهون بعضهم بعضاً، إلى أن صار بشير مديراً.
ولك عمي...أنا شو بدي فيك وفيه، أنتم أحبائي ولكنني...نعسان.
زوجتي: نحفان سيد بشير ،نازل وزنك... مو حلو هيك.
بشير: لا، هيك أحسن...كل يوم أمارس رياضة الجري.
ماهر:...ما بصير هيك...يعني كتير نحفان...
زوجتي: ما حلو الرجّال يكون نحيف إلى هذه الدرجة...
ولك عمي...أنا نحيف، ...ونحيف قده على عشر مرات...
السيد بشير يرتدي شورت وبلوزة رمادية، ولا يحتسي القهوة، ولا يدخن، ويلعب الرياضة كل يوم صباحاً.
إنه طيب وشهم، وأنا أحبه. وماهر طيب وشهم وأحبه أيضاً. ولكن!...ولك عمي أنا شو دخلني فيكم .
جلسنا على كرسيين متحابين، وبدأ ماهر يمارس لعبة الحجامة بمهارته المعروفة.
كاسات تلتصق بظهري فأشعر بنخزة لذيذة، ...يتهيأ لي أن الكاسات ستقع، خاصة تلك التي على اليسار. يقول ماهر: إنك تحس هيك، ويضحك...ويضحك السيد بشير.
ولك عمي...
زوجتي: يا...لا أستطيع النظر ...يا.
صدورنا بارزة، كلما نزع عن ظهري كأساً وألصق غيرها، يبدأ حديثاً.
شيء عن حرب البسوس...أو كأس العالم...أو ما يجري في أريحا أو البصرة.
ولك عمي...وبعدين...
زوجتي...تأتي بعصير أسود يدعى ميلو، لا أدري بأي لغة.
ماهر: لا تشرب حتى ننتهي.
ولك عمي...نشف ريقي... دعني أرتشف قليلاً.
ماهر: نكاد ننتهي... ويضحك السيد بشير...ظريفة الحجامة معي...تسلي.
حين انتهى من تشريح ظهورنا، وسال الدم الأسود، وقرفت زوجتي، وأدارت رأسها ثم خبأته في حجرها، عدت إلى ارتشاف هذا العصير الأسود، وأشعلت سيجارتي ونفخت عالياً...الآن راقت أعصابي.
ماهر يضحك والسيد بشير يضحك أيضاً، قامت زوجتي لتردّ المتّة؛ فحلفوا عليها ألا تقوم...ثم ذهبوا...مثلما أتوا.
بقيت وحدي أتحسس ألماً واخزاً في ظهري، وأطلق دخان سيجارتي.
لا أرى زوجتي الآن!... لعلها عادت إلى النوم.
ملاحظة: أنا والسيد بشير نسكن فوق بعضنا بعضاً، الحقيقة أنا أسكن فوقه، فنحن إذاً جاران متماسكان.
شاءت الصدف أن أسكن أنا فوقه فهو المدير.

مصطفى أحمد

لارا

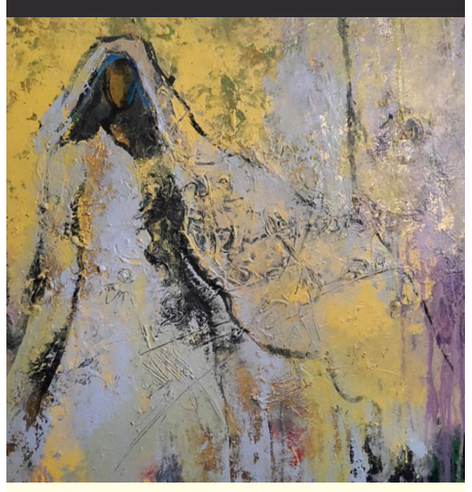

تتسحب في فضاء
يدنسه البشر
بيضاء الضوء
لا تشبه القمر
سمراء ...
وما لشمس يد في السمار
كأنها طوق النجاة للمارقين في الحب
وكأنها شريكة باخوس في صناعة الخمر
وتأخذ شعرها المجنون وتمشي ...
في أول الحارة
هيدي حكاية هاك البنت
الأسمها لارا
بين لارا وبيني
أربع مدن
وبيني وبين لارا
بحار وسفن
لا تشبه ريتا
ولا لدرويش أن يطاولني
في هذا المقام
وشعرها أطول من شعر ريتا
وعيناها أجمل من وجه ريتا
وبيني بينهما
قبور وأشلاء وشهداء وشظايا وبندقية
وعيون لارا ليست عسلية
وتأخذ شعرها المجنون وتمشي ...
في أول الحارة
هيدي حكاية هاك البنت
الأسمها لارا
في الصباح المتسرب
إلى جفون المساكين
تظهر لارا
و في ظهيرة بلادي المليئة بالدم
تخاف القذائف
من عيون لارا
وعند قبلة المساء المشتعل
بكؤوس النبيذ
وأشلاء الشهداء
تبكي وترقص وتضحك
وتأخذ شعرها المجنون وتمشي ...
في أول الحارة
هيدي حكاية هاك البنت
الأسمها لارا
تظهر في حزن الشعراء
على القصيدة
في أفكار المعذبين في بلدي
خلف الضباب في لندن
سر النور في باريس
في ليال الأنس في فيينا
على أجنحة الحمام في دمشق
مع سجائر الحشيش في القاهرة
والرقص المكسيك المشتعل
في غوادا لاخارا
هناك تحمل فتاتي كتبها
هناك ترقص لارا
وتترك شعرها المجنون
حين تمضي
على الناصية
في أول الحارة
هكذا بعد أن تثير قصيدتي
تخلد إلى النوم لارا .....

نورس يكن

من التطبيل إلى التطبيل

منذ فترة أصدرت قناة الأورينت برنامج انتقادي لأحد الشخصيات المسرحية والثورية في سوريا، وهو همام حوت، ببرنامج سيناريو.
للحقيقة لم أكن راغباً في متابعته بداية الأمر، وذلك لموقف قديم من طريقة الطرح التي كان همام يتعامل بها مع مفهوم المسرح، عند سطوع نجمه في سوريا وعرض مسرحياته التي كانت، مثلما قال عن نفسه في أحد اللقاءات مع جو شو المصري، أنّ النظام قد حوله خلال عروضه المسرحية سابقاً إلى مطبّل للنظام، وبالتأكيد ليس مُعيباً أن يدرك الشخص ولو متأخراً، مثلنا جميعاً، كيف كنا مخدوعين بسفالة هذا النظام.
تغاضيت عن ذلك الموقف القديم من عروضه المسرحية السابقة وقررت متابعة إحدى حلقات سيناريو، وهناك تحدث همام عن السيناريو المكتوب لحافظ الأسد من قبل دول العالم وكيف أنه سيكون الكلب الوفي لإسرائيل، وخيانة الأسد للقضية الفلسطينية ولياسر عرفات ولجميع المعارضين لبلادهم حيث كان حافظ يحتويهم.
ما استوقفني في ذلك الخطاب، ليس عدم صحة ما يقوله همام، فمثل هذا النظام ليس سوى عميل منحطّ، وأصبح من البديهي بعد سبع سنوات، معرفة أي سوري وحتى أي عربي بالسياسة القذرة لآل الأسد، لكن ما أذهلني هو قبل انتهاء الحلقة شاهدت نفس الشكل القديم الذي كان يمارسه همام حوت يوماً في مسرحياته السابقة عندما كان مخدوعاً بوطنية النظام، وأحاديثه عن هيبة الشعب السوري وقدرته على الصمود وتضحياته المثالية، وأن مشكلة السوري ليست برجل مخابرات أو وزير، بل لأننا لا نستطيع أن نحب بعضنا البعض. وتحمّل أي سوري لرشوة شرطي مرور أو إهانة من رجل أمن لكنه لا يقبل بأن تُنكّس الراية الوطنية السورية (مع الاعتبار، أن تلك المرحلة تتطلب خطاباً من ذلك النوع داخل نظام أمني). ذات الشكل كان يقدمه في برنامج سيناريو وإن اختلف نسبياً شكل الخطاب من شعب تحت راية نظام إلى شعب تحت راية معارضة، مع احتوائه على نفس البُعد التوهيمي. ذلك الشعب العظيم المقاوم الذي وقف في وجه أكبر طغيان بالمنطقة، تحدّى أشرس آلة دموية في العالم، ذلك الشعب الذي رضي الموت ولم يرضى الذل، ذلك الشعب الذي سيحقق الانتصار، شاء من شاء وأبى من أبى، لأنه شعب مؤمن بالله، ذلك الشعب الذي قدّم التضحيات. شعب الصمود والكبرياء.. الخ.
بالتأكيد يا سيد همام، أن هذا الشعب الذي ما زال يمتلك القدرة على الحياة، هو شعب عظيم، لكن ليس لأنه يؤمن بالله أو لأنه قدّم التضحيات، بل لأنه بعد كل شيء أصبح قادراً على التفكير الحر والفهم والإبداع والبحث عن طرق حياة مختلفة، وتحرّره في الدرجة الأولى من أوهام الإيديولوجيات السياسية والأخلاقية والوطنية التي كانت تحكمه، والتي ما زال البعض (بمن فهم فئة من المعارضين المؤدلجين) يحاولون الترويج لها حتى اليوم.. وإن بقي جزء من هذا الشعب (ونقصد هنا بالضبط) المزمرين التابعين لسياسيات دولية وينفثون إيديولوجيات خاصة ووسائل إعلام معينة، يعملون كآلة تطبيل للآخر بصورة نضال الشعب. إنها استبدال منظومة بأخرى.
إن خطاب همام بتلك الرومانسية الوهمية التي تعمل كإبر مورفين للتهدئة – مثلما كانت أثناء عروضه المسرحية في زمن النظام – ما زالت تعمل بذات الآلية للتوهم.
إننا على الأرض كشعب قد هزمنا، وهذه حقيقة، والإيمان بالله خلال سبع سنوات لم يقدم حلاً لهذا التشرد والموت الذي عانيناه، واستمرار خطاب العظمة والصمود لن يُغيّر في هذه الحقائق شيئاً. وتوهيمنا أننا سننتصر لأننا مؤمنون لم يعد يقطع بدماغ أي شخص يحمل ذرة من العقلانية ولو قليلاً. لقد أصبح القاصي والداني يعلم تماماً أن حلول الواقع لسوريا وللشعب، هي حلول سياسية دولية بحتة لا شأن لنا كشعب بها.
إن خطاب همام يشبه تماماً خطاب المعارضة المُلتحية، التي فقدت كل شيء، سياسياً وعسكرياً، ومن بقي منها (يعلم الجميع مقدار إما عمالتها للنظام نفسه أو لجهات أخرى) وما زالت حتى الآن تُقدّم نفسها كموقف أخلاقي ثوري أنها لا تقبل أي حلول سياسية غير إسقاط النظام، مع أن واقع السياسة يفترض فهم العجلة التي يدور في فلكها الواقع السوري. الخطاب الوهمي المبتذل بينما يوجد في ذات الوقت، ٨٠٠ طفل سوري في الغوطة يموتون، ليس جراء الحرب، بل جراء الجوع. والمعارضة ما زالت تحمل لواء (العلاك المصدي) باسم الأخلاق الثورية والسياسة العبقرية.

ما يفعله همام حوت في برنامج سيناريو، هو تماماً ما تفعله المعارضة في موقفها الأخلاقي من حضور مؤتمرات لإيجاد حلول، وهم لا يملكون أي موقف قوة. الاستمرار بتوهيم الأحياء \ الأموات بأخلاقية الموقف، وأحقيتنا بالنصر لأننا أصحاب حق ووطن لا أنّ الواقع والسياسة الغبية للمعارضة، مثل عمالة النظام (شاء من شاء وأبى من أبى) أصبحت جليّة بهزائمنا.

وفوق كل هذا تتجلى الآلة الإعلامية المعارضة كالأورينت وهي تعمل جاهدة – تحت اسم النضال الوطني - لتمرير مشروعها الخاص التابع لإيديولوجيا محددة. وعندما يقبل همام حوت بالظهور في برنامج مثل سيناريو، بخطاب عاطفي قدري، مثل إرادة الشعب المؤمن الذي لا يُهزم، والشعب الذي ضرب مثلاً في الصمود ولم يسبقه عليه أحد غير صحابة رسول الله، ومن تلك الجمل التي تضع ألمنا اليومي كشعب بسيط ومقهور تحت آلة المورفين، ليست سوى جرّ الثورة التي انتهت من الواقع وأصبحت عبارة عن ثورة في الذاكرة والحس الداخلي فقط، نحو موقع إيديولوجي يخص فئة دون سواها.
عندما خرجت الناس في سوريا نحو الشارع مطالبة بإسقاط النظام، لا لأنهم كانوا يريدون سوريا كالسعودية أو قطر أو تركيا، وعندما كان الناشطون والثوريون يعملون في الخفاء، بعض البرامج ويكتبون ويتظاهرون، لأنهم كانوا يريدون سوريا كسوريا، دون إيديولوجيات تقود البلد نحو موقع معين. مشكلة سوريا أن السلطة فيها كانت عميلة بستار وطني وإيهام شعبي، وستبقى مشكلة سوريا حتى لو سقط الأسد والنظام، هي وصول أي جهة لسدة الحكم تعمل بإيديولوجيا معينة كعمالة للآخر.
واسمح لي يا سيد همام أن استخدم عبارتك التي تستخدمها في برنامجك.. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولجميع من خُدِعوا وجميع من يتم خداعهم حتى اليوم.

وفي النهاية ليس يأساً، بل لأن هذا الشعب فهم ووعى المشكلة الكبرى.. نحن الشعب السوري البسيط، لن ننتصر كثورة، وأي دعوة لإعادة إحياء الثورة بشكلها القديم ليس سوى نوع من دعوة لموت مستمر.. لن ننتصر لسببين مهمين، أولهما أننا لا نعمل لأي إيديولوجيا خارجية (لا بشكل مقصود ولا بشكل غير مقصود)، وثانيهما لأننا فهمنا الثورة بعد سبع سنوات، أنها ليست الدوران في حلقة الموت من أجل هدف سياسي كما يريده البعض، بل الثورة هي أن تعيد صياغة كل التجربة بإطار عقلاني وليس عاطفي للاستمرار في الحياة.
وعندما نقول نحن، فنقصد الشعب الذي دفع ضريبة كل الانحطاط الدولي والسوري (النظام والمعارضة) نحن الشعب الذي لن تُعرف وجوهنا أبداً.

علي الأعرج

أربع وعشرون ساعة في حياة امرأة التشاؤمية كمعيار أخلاقي

إنّ السحر الذي يتمتع به ستيفان زفايغ والعمق الذي تفوّق به على كثيرين غيره من الكُتّاب المشهورين عالمياً، قد أباح نفسه في روحي منذ أول قراءة له «لاعب الشطرنج»، ورغم قصر العمل وفكرته التي قد تُعتبر بأنها أحد ضروب الواقعية المضطربة بشخوصها، من خلال غرابة الأحاسيس التي تنفذ في صفحاتها، رغم واقعية كل شيء بها، إلا أنها تركت صورة في مخيلتي، بأن قراءة هذا الرجل تتفوق في حدتها وأخلاقيتها ورعبها ما تتمتع به قراءات كافكا ودوستوفسكي ودانتي وبروخ. لقد تركت في داخلي إعجاباً قلّ مثيله أثناء قراءة كتاب ما. وشعرت أن قراءة زفايغ يجب أن تترافق لمستوى من التحضير النفسي قبل الغرق في صفحاته كي يستطيع القارئ النفاذ إلى المخيلة الأكثر رعباً في معناها الأخلاقي.

عندما بدأت بهذه الرواية «أربع وعشرين ساعة في حياة امرأة» أُصبت بلعنة البطء في تتبع كل كلمة والتلذذ النادر في التفاصيل وفي الرؤى الأخلاقية لشخوصه، وهي من الأشياء القليلة الحدوث في قراءة رواية ما، وعندما أنهيتها أدركت بأن انتحار زفايغ عام ١٩٤٢ في البرازيل هو أمر طبيعي لرجل مثله، عانى دائماً من مستوى أخلاقي رفيع في هذا العالم، محاولاً التعبير بكل قوة عن أزمته الوجودية دون جدوى.

خلال مئة صفحة حاول زفايغ معالجة مسألتين فيهما من التنبّه والعمق ما جعلني أعود للوراء في روايتين قبله ناقتشا المسألة من منظور آخر وأعتبرتا حتى اليوم مرجعاً للتفسير النفسي والأخلاقي، لكن زفايغ رمى بأوراقه المائة ليعيد تشكيل العالم، وليهدم منظومة مُشرّعة، دون أن يلتفت أحد إليها حتى وقتنا الحاضر. إنها تماماً تشبه نظرية الفن لأرسطو التي بقيت مُتبعة في العالم لعشرات القرون، لكن عصر التنوير أزاح اللثام عن تلك النظرية العتيقة ليبدأ عصر عالمي جديد في الفهم. بمثل ذلك الشكل زرع زفايغ في قلبي رؤية مختلفة عن معالجتين قديمتين، وهما ما سنناقشهما هنا، «النظرة الأخلاقية من منظور تشاؤمي».

الأولى هي معنى سقوط الإرادة الأخلاقية والاندفاع الإنساني كصورة قدمها يوماً فلوبير في مدام بوفاري، والثانية هي الهوس المميت والنهاية البشرية التابعة لها كما قدمها دوستوفسكي في المقامر.

وبرغم أن كلتا الروايتين مستقلتان بالمعنى التطوري للحدث الدرامي في كل منهما، لكن زفايغ استطاع مزج الفكرتين في عمل واحد وقصير، وهذا بحد ذاته يدلل على عبقرية فطرية في التعامل مع الأدب.

في سقوط الإرادة الأخلاقية:
منذ قرن ونصف تقريباً ظهرت مدام بوفاري للنور، وتربّعت مباشرة على العرش الأخلاقي لتاريخ الأدب، وبقيت للوقت الحالي من أهم العناصر التي يتم الاستشهاد بها بمعنى الانحطاط للسلوك البشري، رغم إشكاليتها المطروحة (لدى البعض) بأنها تصوير للصراع بين الواقع والرغبة. فإيما بوفاري ذهبت إلى أقصى حد في محاولة اكتشافها لمعنى الذات، فهي المتنقلة بين إحساسها بالغفران الذي تلقته من الكنيسة وبين قراءاتها الكلاسيكية التي زرعت في مخيلتها رؤى للعاطفة، لكن بعد زواجها اكتشفت تقليدية الحياة وملّها واعتيادية الحب والجنس. ذلك الاكتشاف الذي دعاها للتمرد على النموذج الأخلاقي المتعارف عليه، فتنقلت بين عشاقها وزوجها لينتهي بها المطاف منتحرة. إن تجربة إيما بوفاري هي تجربة اكتشاف محض وبحث عن المعنى الشخصي للوجود، وهذا ما عرضه زفايغ مع شخصية بطلته الإنكليزية السيدة «س» بمستوى إحساسها لفكرة الانحطاط التي كانت تسير إليها مع إدراكها لسوء الأمر، مع فارق أن السيدة «س» كانت تجربتها آنية، ناتجة عن مجموعة من التناقضات اللحظية بين فعل الخير والانزلاق إلى العهر (المرفوض اجتماعياً).

إنّ خط الحياة لدى إيما، يشبه خطاً أفقياً يتصاعد ليصل إلى ذروته، إنه نمط التطور الكلاسيكي للواقع، فمن الطبيعي بعد كل تلك التجارب ستؤدي بوفاري غايتها للوصول إلى ذلك المستوى من النهاية المتجلي بالانتحار، لكن خط حياة السيدة «س» يشبه المنحني الذي يكون في الأعلى ليهبط للأسفل ثم يرتفع ويكمل حياته كمعنى أخلاقي رفيع في الوجود دون أن يعلمه أحد. وبرغم أن إيما أكثر تحرراً بالمعنى العقلي، رغم لا عقلانية السلوك، وأكثر قدرة على التفكير والموازنة والاختيار كإرادة حرة، لكنها سقطت في النهاية كتعبير عن الرفض الذاتي لسلوك الحياة الذي أرادته ولم ترده بنفس الوقت، لكن السيدة «س» كانت تجربتها الآنية بمثابة اندفاع عاطفي غير عقلاني، ورغم سقوط إرادتها لحظياً لكن احتفظت بالسر الذي أبقاها كمنتصر في عملية الصراع الأخلاقي وأمام مجتمعها.

إنّ المميز في شخصية السيدة «س» هو بالضبط تلك اللاعقلانية في التعامل مع تجربتها، الذي من المفترض كسلوك طبيعي أن تصبح الإرادة الحرة فيها مستباحة، نتيجة اللاعقلانية والعاطفة الاندفاعية، وبالتالي السقوط المشابه لبوفاري .. لكن ما الذي جرى وأنقذ فعلياً السيدة الإنكليزية من المصير البوفاري !!

قد تبدو للوهلة الأولى أن التجربة الوحيدة في الأربع وعشرين ساعة لم تكن تكفي السيدة «س» لذلك السقوط، فإيما اتخذت خط حياة طويل بينما «س» لم تستغرق يوماً.

ذلك الفارق الزمني قد يبدو سبباً منطقياً لدى البعض، لكن المسألة ليست بهذه السطحية، فالزمن لا يقارن بالمعنى العاطفي. يعرض زفايغ المعالجة الأخلاقية للسيدة الإنكليزية في حديثها عندما تقول:
ووسط هذه الغرفة القذرة وأثاثها البالي، في نزل الزنا هذا، الكريه والمتسخ، غمرني فجأة شعور رائع بمعجزة وتطهّر، كذلك الذي أشعر به داخل كنيسة. وقد وُلدت فيّ من اللحظة الأكثر رهبة في حياتي، لحظةٌ ثانية أكثر قوة وإدهاشاً.

كانت تلك اللحظة للسيدة، لحظة إدراك داخلي بالعهر، لكن فيها شيء من إنقاذ الإنسان من الموت، إنها خليط بين الرأفة والحب الغامر، وقد رسمه زفايغ باحتراف قلّ مثله. إن كانت بوفاري قد اختبرت التجربة بمعناها البحثي عن الذات وانتهت بانتحارها نتيجة طغيان الفكرة على الجسد والواقع، وسيطرة رغبة تملّك كل شيء على قبول ما لديها، فالسيدة «س» اختبرت التجربة بصيغة الإنسان الواقعي (رغم عاطفيته المنطلقة) الذي قد يرضخ لمتطلبات الرأفة الشخصية والتي تتحول إلى عشق، وذلك ما أدى بها في النهاية للاستمرار بحياتها والاحتفاظ بالسر لأربعين عاماً لاحقة. ما حكم السيدة الإنكليزية هو الاندفاع العفوي لرفض فكرة الموت الذي شاهدته في بطل العمل (الذي سنناقشه في القسم الثاني)، فكل ما فعلته كان بدافع الإنقاذ، لكن بالنتيجة أدى بها إلى عشق أفقدها رونق الشرف الأنثوي (بحسب منظورها).

هنا تتجلى اللحظة التشاؤمية لدى زفايغ بمعناها الأخلاقي، فعدم سقوط السيدة «س» في المصير البوفاري هو بسبب الحامل الذي رسمه زفايغ (المقامر). إنّ مستوى انحطاط شخصية البطل، وهبوطه إلى القاع رفع من الشأن الأخلاقي للسيدة. نشاهد التصوير البوفاري كرغبة عندما تقول:
لو تشبّث بي ذلك الرجل حينها، لو طلب مني اللحاق به، لذهبت معه إلى أقاصي العالم، ولطّخت شرفي وشرف أولادي، ولهربت معه غير عابئة بأقاويل الناس ولا بضميري ... لضحيت من أجل هذا الرجل بمالي، واسمي، وبثروتي، وبشرفي .. ولتسوّلت من أجله، ولعلي ما تورعت عن قبول أي دناءة في العالم يجرني إليها. ولكنت لفظت جميع ما يُسمّى في المجتمع عفة واحتشاماً، لو تقدّم نحوي فحسب، وقال كلمة واحدة، لو تقدم خطوة واحدة، لو حاول أن يحضنني، لكنت في تلك اللحظة ضائعة ومرتبطة به إلى الأبد.

تلك العاطفة المهدورة والتي كادت أن تقوم بعمل الانحطاط لولا تشاؤم البطل المطلق بعد خسارته في المقامرة ورغبته بالموت، كانت تلك العاطفة قد تجلت بأشنع صورة تشاؤمية يمكن لتاريخ الأدب رسمها، لو أنّ البطل قال كلمة واحدة وبقي مقامراً، لكانت السيدة الإنكليزية قد أصبحت مقامرة مثله نتيجة عاطفيتها، لكن عدم قوله والتطور الدرامي للأحداث الذي من خلاله توقف عن لعب القمار لوقت قصير قبل أن يعود والصراع بينهما بعد الوعد الذي قطعه على نفسه في الكنيسة، هو من أنقذ السيدة من ذلك المصير البوفاري قطعاً، والذي سيؤدي بها إلى الموت عاجلاً أم آجلاً.

بهذا المعنى تجلت الإرادة الحرة وسقوطها بشكل عكسي أدى للاستمرار، وهو ما خلق لدى زفايغ رؤية جديدة حول معنى الانحطاط وكيفية تحويله إلى عنصر أخلاقي مجتمعياً، رغم إحساسها لأربعين عاماً بالذل الشخصي. إن انسياق السيدة وراء العاطفة قدمها كنموذج أخلاقي لكن بانحطاط داخلي لم يظهر، لأنها لم تمتلك تجربة البحث المستمر على طول خط الحياة عن الذات كما فعلت إيما بوفاري. وهنا يتجلى المعنى الحرفي لفكرة زفايغ، أنّ الصورة الأخلاقية مجتمعياً لن تُصاب بزلل، وستبقى محافظة على فكرة الإرادة الحرّة (توهماً) ما دامت خاضعة لمنطق عدم البحث عن المعرفة والذات.

في الهوس المميت والنهاية البشرية:
لم يعرف العالم الأدبي صورة أكثر قوة وتعبيراً عن المقامر وتجليه في الحياة إلا من خلال البطل «ألكسي إيفانوفتش» التي قدمها فيدور دوستوفسكي في رواية المقامر.
فتلك الصورة التي رسمها فيدور أوضحت بشكل جلي معنى الهوس البشري بأمر ما. المعرفة بالسلوك السلبي للمقامرة، والرغبة بالخلاص منها، والخسارة الدائمة، والعودة إليها. كل ذلك يتجلى في عمل المقامر، لكن الميزة الأساسية له والتي افترضها فيدور كانت في ختام العمل عندما يطلق «ألكسي إيفانوفتش» عبارته الأكثر شهرة في تاريخ الأدب:

غداً .. غداً سينتهي كل شيء.
بذلك الشكل الساخر أغلق دوستوفسكي عمله تاركاً بطله ألكسي يقوم بآخر مقامرة له قبل عودته إلى بلاده. لكن تلك السخرية الضمنية في العبارة توضّح تماماً، لا شيء سينتهي، فهوس المقامرة مثل أي هوس آخر، والوعد الذي قطعه على نفسه بأن غداً سينتهي كل شيء، ليس أكثر من كلام مقامر.

ب
ذات الشكل يقوم زفايغ برسم ملامح بطله المقامر الذي يخسر مقامرته في بداية العمل، ويصفها زفايغ أيضاً بطريقة أكثر من رائعة باختلاجات اليدين وبالمشاعر التي ترتاد البطل وإحساسه بالهزيمة اتجاه الكون لا اتجاه ذاته فقط. كل تلك التوصيفات يركّبها زفايغ ليطرح الإشكالية برغبة بطله بالانتحار. إنّ ألكسي إيفانوفتش يشعر بالسوء لخسارته وقطعه لوعوده، لكن بطل زفايغ يشعر برغبة الموت، مع توافر الهوس لكليهما، لكن ألكسي في صورته الانحطاطية مندفع للحياة وباحث عن أي وسيلة لجلب الأموال من أجل إعادة المقامرة، بينما بطل زفايغ أكثر طفولية، إنه مهووس دون البحث عن مورد الهوس، دون السعي، إن خسارته هي بمثابة موته.

يعرض زفايغ مع قصة السيدة «س»، قصة بطله المقامر الذي تحاول السيدة إنقاذه من الموت وتقع في حبه، ويشعر البطل بأن ملاكاً أُنقذه، وهو ما يُسيء شعورياً للسيدة «س» بأن نظرة الرجل الذي أحبته هي نظرة لملاك وليست لأنثى. لكن هل كان بطل زفايغ يهتم بكل تلك التفاصيل الأنثوية باعتباره مقامراً مهووساً !!

بالتأكيد لا. بعد الوعد الذي قطعه وسفره المفترض والأموال التي أعطته إياها السيدة للسفر، تعلو مشاعر الحب في قلبها فتلحقه إلى المحطة حيث القطار انطلق، فتعود خائبة وتسير في كل الأماكن التي ارتاداها سوياً بما فيها أول تعارف بينهما، صالة القمار. هناك تشاهده جالساً يقامر. لقد أخذ أموالها ولم يسافر. تتجلى تلك اللحظة المهووسة بنزوع الإنسان إلى كل شيء إدماني. تحاول إيقافه عندما يدفعها صارخاً بها أن تدعه وشأنه وهو يرمي في وجهها أوراقها المالية التي أعطته إياها قبل يوم، واصفاً إياها بالعهر بعد أن أمضيا ليلة في نزل حقير.

كان ذلك المشهد هو المنقذ للمصير البوفاري للسيدة «س» وسقوط البطل في القاع.
هنا يمشي زفايغ بذات الإيقاع النفسي مع رؤية دوستوفسكي حول هوس المقامرة، لكن بعد ذلك يجري شيء ما يشق الصورة الافتراضية للمقامر التي صنعها فيدور باعتبارها الصورة الأكثر كلاسيكية حول طبيعة المقامرة. يخبرنا زفايغ في نهاية العمل وبعد رحيل السيدة «س» بسنوات، أن البطل قد انتحر في صالة قمار قبل عشر سنوات، في تلك اللحظة لا تشعر بأي مشاعر اتجاه ذلك الذي عشقته يوماً، بل على العكس تشعر بالراحة أنها لم يعد بإمكانها لقاءه مرة أخرى.
إنّ انتحار بطل زفايغ هو الصورة الأكثر تطرفاً في معنى الهوس، فدوستوفسكي قدّم فكرة الهوس البشري باعتباره الصيغة الوحيدة لتكوين هدف يمكن للإنسان الاستمرار في الحياة من خلالهن لكن زفايغ كسر تلك الصورة النمطية بانتحار بطله .. هل يمكن لمهووس بشيء ما، يشعر بأنه إله أثناء قيامه بهوسه، أن يُنهي ذلك الهوس لمجرد هزيمة !.

بالطبع صورة زفايغ متطرفة قليلاً بمنحاها العقلي ومغايرة كلياً لصورة فيدور التي أرادها تكاملاً هوسياً للإنسان، لكن صورة زفايغ أكثر راديكالية وتجذراً بالمعنى التاريخي للأخلاق، إنها بالضبط الرؤية التشاؤمية التي ستتجلى بأكبر صورة لمعنى العدم البشري. كان بإمكان بطل زفايغ أن يقول كلمة واحدة للسيدة «س» ويحصل عليها، وهي بدورها ستكون مستعدة للسقوط معه في أشنع صورة أخلاقية ممكنة، وكان بإمكانه أن يحصل على الأموال من خلالها ويبقى مقامراً. لكنه لم يكن يريد سوى هوسه المميت، وهنا تتعارض فكرة البطل المقامر بين فيدور وزفايغ .. فألكسي إيفانوفتش مقامر ساخر ومندفع للحياة وللمقامرة ومستعد لفعل أي شيء، أن يسرق أو يتحايل أو ربما يقتل في سبيل مال للمقامرة، إنها بالنسبة إليه فعل متعة وشعور بالانتصار، لكن بالنسبة لبطل زفايغ إحساس عميق بالوجود وأهمية الذات مع الكبرياء الخالص لمعنى الإنسان، وهذا هو دافعه الحتمي للانتحار، رغم انحطاطه في السلوك الذي مارسه مع من وهبت له قلبها.

من خلال هذه البنية نستطيع فهم الصورة التي أرادها زفايغ ببطليه «السيدة س والمقامر» إنها محاولة تقديم صورة الإنسان المثالي بكل أخطاءه وكبرياءه. الصورة الأكثر تشاؤمية للمعنى الأخلاقي لإنسان أوروبا والعالم.
أعتقد أنّ هذا العمل «أربع وعشرين ساعة في حياة امرأة» غيّر بنية كاملة في المعاني للصور المتعارف عليها في نظرتنا الأدبية والحياتية، وزفايغ أحد القلائل الذي أمتلك مشروعاً فلسفياً فردانياً ومغايراً عن أدب النصف الأول من القرن العشرين.

عبد القادر أحمد

الزيتون

لطالما عرفت شجرة الزيتون بانها شجرة مباركة وذات ثمار مباركة، ولطالما استخدمت منذ القدم لاحتوائها على العديد من الفوائد وباعتبارها قوت ودواء ودفء،

تعتبر شجرة الزيتون شجرة مباركة وذات ثمار مباركة، وهي مشهورة في مناطق حوض البحر المتوسط، ذات فوائد لا تعد ولا تحصى، تبدأ من أغصانها التي تستعمل كمصدر من مصادر التدفئة وصولاً إلى ثمارها التي تستخدم كغذاء ضروري ونافع لجسم الإنسان، لغناها بالمعادن والأحماض الدهنية الضرورية للإنسان، وعادة ما يوصي خبراء التغذية بتناول ما يقارب ٧ حبات من الزيتون يوميا لما لها من أسرار وقيمة تغذوية عالية لأجل الحفاظ على نظام غذائي صحي ومتوازن.

فهي غنية بالمعادن الضرورية مثل: الكالسيوم، الصوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم والحديد والفوسفور والكبريت والنحاس واليود.

وتحوي الفيتامينات والأحماض الأمينية الضرورية. كما تحتوي على مضادات أكسدة قوية نظرا لاحتوائها على فيتامينات ب وفيتامين أ وفيتامين هـ،

وتحتوي على حمض الأوليك، وهو من الاحماض الدهنية الأحادية المفيدة والضرورية للجسم والذي له خصائص مفيدة لحماية القلب.

وكذلك زيتها المعصور من هذه الثمار والذي يعتبر من أكثر أنواع الزيوت فائدة.

وهو أيضاً يمتلك خصائص عديدة ومفيدة لحماية القلب من الأمراض التي تصيبه. الحفاظ على صحّة القلب والأوعية الدمويّة: ثمرة الزيتون تعمل على تقليل نسبة الكوليسترول الرديء (LDL) في جسم الإنسان، وبالمقابل يعمل على رفع نسبة الكوليسترول الجيد (HDL)، هذا يعمل على تعزيز صحّة القلب وشرايين القلب التاجية، وجميع الأوعية الدمويّة في الجسم، ويقوم بذلك حمايتها من الجلطات، أيضاً ثمرة الزيتون تجعل الشرايين أكثر مرونة، ممّا يعمل على مقاومة حدوث السكتات القلبيّة والدماغيّة.

تقوية المناعة في جسم الإنسان: وهذا لأنّ ثمرة الزيتون تحتوي على مضادّات الأكسدة، التي بدورها تعمل على تعزيز جهاز المناعة في الجسم، ومكافحة الالتهابات من خلال مكافحته للجذور الحرة، وله دور أيضاً في مكافحة سرطان الثدي، لاحتوائه على مواد تقتل الخلايا السرطانيّة وتدمّرها. تحسين مستوى الذاكرة: لاحتواء ثمرة الزيتون على مادة البوليفينول، وعلى موادّ تحارب الجذور الحرّة.

السيطرة على الشهيّة: تناوُل معلقة من زيت الزيتون صباحاً وعلى الريق، تساعد على الشعور بالشبع، وتساعد في تقليل الجوع وبذلك السيطرة على الشهيّة.

كذب المنجمون

برج الحمل

كريم، متغطرس، لا يخاف ولكنه عديم الصبر، قد يتلقى طعنة في ظهره من أقرب الناس إليه، نصيحة الفلك (لا تدر ظهرك إلا للحائط).

برج الثور

مثير، كاتم للأسرار، غيور وفضولي ومحب للتنكيت، لديه فوبيا الأشياء المقلوبة كأكلة المقلوبة، والقميص المقلوب، والشحاطة المقلوبة، بالإضافة إلى فوبيا مدينة إدلب، نصيحة الفلك: (احذر أقرب المقربين، ولا تهتم لكلام الناس).

برج الجوزاء

متفائل، محب للحرية النظرية، مهمل ومنطوي على نفسه، منجذب للقيادات، ويستشرس في الدفاع عنها، خبر سعيد في الطريق إليك، قد يعرض عليك دور البومة في فيلم سينمائي في هوليوود.

برج السرطان

صبور، متمسك بالتقاليد، ومتشائم كثيراً لم يحصل على نصيبه من الفرح بعد في حياته، نصيحة الفلك: (لا تيأس حاول أن تبتسم فلربما تنجح في يوم ما).

برج الأسد

في هذه الأيام أنت اسم على غير مسمّى ، يحوّلك حبٌ إلى حمل، يدخل عقرب بينكما، لا تحاول الدعس على العقرب، ابتعد عن الجدي خطاف النساء وابتعدي عن الثور خطافة الرجال بإمكانكم مصادقة الحوت والحوتاية فلا خوف منهم لأنه مو فرقانة معهم.

برج العذراء

منظمون ومرتبون من ابرز ما يميزهم قطع ورق التواليت من المكان المخصص، موسيقاهم المفضلة: نغمة انتظار الهاتف.

برج الميزان

تبدأون المزاح الثقيل ولا تتحملون نتائجه، نصيحة الفلك لا تدلي زنبيلك ما حدا بيعبيلك، حجر الحظ: حجر الكلى

برج العقرب

مقابلة عمل جديدة تنتهي بنجاح وقبول في الوظيفة بعد كمّيّة الخَرطْ التي خَرطْتَها وصدّقها المدير وصدّقتها أنت وصدقها حتى أبطال القصص التي اخترعتها، واللّهي برافو..

برج القوس

عزيزي مولود القوس لطفاً لطفاً لا تحاول أن تخفّف دمك هذه الفترة، أنت تسترجع فترة مراهقتك، بنكاتها وأساليب إلقاءها، وحتّى بِحَبّ الشباب على وجهك، لا تدعنا نَعِشْ هذا مرّتين!

برج الجدي

تكرّر مقولة «المصاري وسخ الدنيا» وتسعى إلى كنس هذا الوسخ ليلاً نهاراً وحتّى في أحلامك، خفّف من التكنيس، ودع دوراً لمن لا يجد ما يكنسه من متع الدنيا أقصد وسخ الدّنيا..

برج الدلو

أنت دقّة قديمة، ضع أحزانك في دلْوِكَ وأفرغها في البالوعة، وعَش أحزاناً جديدة من الطراز الحديث، عِش اكتئاباً ثنائي القطب، اكتئاباً موسمياً، اكتئاب ما بعد الولادة، اكتئاب ما بعد الطمث، لا فرق ولكن لا تستمع إلى هاني شاكر، رجاءً..

برج الحوت

ينطبق عليك المثل القائل: حبسوه بكيس مع ابليس، طلع منه ابليس يستغيث، الحوت منظّر من الدرجة الأولى، يحرّك العالم بينما هو جالس خلف طاولته، وعنده من النصائح ما يكفي ليستغيث منه جميع الأبالسة.

الكلمات المتقاطعة

افقي	عمودي
١/ رواية لواسيني الأعرج	١/ مقدّمة برامج أمريكيّة
٢/ مايخطربالقلب من شر(جمع)- مكان وجود المعادن	٢/ رواية لأحلام مستغانمي
٣/ مكان معدّ لوضع المحصول- تأوه(معكوسة)	٣/ رواية لسليم بركات
٤/ إفضاء ومكاشفة(معكوسة)-يرتفع(معكوسة)	٤/ أَوْرَقَ الشَّجر- متشابهان
٥/ لحظيّ- راية	٥/ شجرة دائمة الخضرة- رفض- راعي الكنيسة
٦/ اغتمَّ وجزعَ- بصق(معكوسة)	٦/ يسأل الرحمة
٧/ عزمت القيام بشيء-تعليم الدروس مشافهة	٧/ إناء لإعداد الشاي- حرف شرط
٨/ فمستقرّ- حيوان زاحف صغير	٨/ صوّتَ- طائر طويل المنقار
٩/سحق- ثني(معكوسة)	٩/ اتفق- يزيد(معكوسة)
١٠/قلم من قصب- أداة حلاقة	١٠/أداة استفهام- يستخرج

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢						■				
٣					■			■		■
٤						■				
٥				■					■	
٦				■			■			
٧					■					
٨							■	■		
٩				■	■	■	■			
١٠					■				■	■

كلمة السر

الحرمل- عنب بلدي- كلنا سوريون- تمدن- سوريتنا- صدى الشام- عين المدينة- زيتون- حبر- اشراق- ربيع الثورة- العهد- برجاف- النبأ- السلام- تين بعل- تين بعل- سبا

كلمة السر من تسعة أحرف رئيس تحرير جريدة حنطة اغتيل في مدينة غازي عنتاب عام٢٠١٥.

حل العدد السابق

زكريا تامر

١	ع	ا	ء	ش	ة	ك	و	ل	ي	ن
٢	ز	ب	ي	ب	■	ي	ه	ت	ش	ي
٣	ي	خ	ر	س	ه	■	ل	ش	ف	ي
٤	ز	س	ل	■	ه	ع	ي	م	ي	ر
٥	ن	ث	ن	ي	ه	م	■	■	ه	■
٦	ي	م	د	ه	■	ر	و	ث	■	ك
٧	س	ن	ا	ب	ش	ا	ت	■	ب	ت
٨	ي	■	■	ه	ي	ن	■	ل	ج	ا
٩	ن	خ	س	■	ب	■	ر	م	ح	ء
١٠	■	■	ر	غ	ا	د	ر	ا	ي	ب

س	و	ر	ي	و	ن	ص	ا	ل	س	ا	ا
ا	ش	ر	ا	ق	ن	ر	د	ع	و	م	ل
ة	ر	ا	ل	ث	و	ر	ة	ى	ر	ا	ح
ن	ب	ب	ر	ج	ا	ف	ج	ن	ي	ش	ر
ي	ي	ف	ب	ا	ب	ن	ل	ا	ت	ل	م
د	ع	ع	ج	ل	ع	ب	ح	ي	ن	ا	ل
م	ل	م	ا	ل	س	ل	ا	ب	ا	ن	ا
ل	ا	ل	ع	ه	د	ت	ي	ن	ر	د	ن
ا	ز	ي	ت	و	ن	ن	ي	ت	ا	م	ل
ع	ن	ب	ب	ل	د	ي	س	ب	ا	ت	ك

الكلمات المتقاطعة الحل للعدد ٨٣

الصفحة من إعداد نور ح عبدالله

كندي متهم في قضية سرقة حسابات بريد إلكتروني من ياهو قد يقر بذنبه

(رويترز) - أفادت سجلات قضائية بأن كنديا، تتهمه الولايات المتحدة بمساعدة عملاء للمخابرات الروسية في التسلل إلى حسابات بريد إلكتروني في إطار اختراق كبير لحسابات ياهو عام ٢٠١٤، ربما يقر بأنه مذنب هذا الأسبوع.

وبحسب وثيقة للقضايا التي ستنظر أمام المحاكم، جرى الاطلاع عليها يوم الجمعة، فإن من المقرر أن يمثل "كريم باراتوف" أمام محكمة اتحادية في "سان فرانسيسكو" يوم الثلاثاء. وكان "باراتوف " قد تنازل هذا العام عن حقه في الطعن على طلب أمريكي بترحيله من كندا إلى الولايات المتحدة.

واعتقلت السلطات الكندية باراتوف (٢٢ عاما)، وهو مواطن كندي مولود في كازاخستان، في مارس آذار بناء على طلب مدعين أمريكيين.

وامتنع «آندرو مانسيلا»، محامي باراتوف، عن التعليق. ولم يرد متحدث باسم مكتب الادعاء الأمريكي في سان فرانسيسكو على طلب للتعليق.

وفي مارس آذار أعلنت وزارة العدل الأمريكية الاتهامات الموجهة إلى باراتوف وثلاثة رجال آخرين من بينهم ضابطان في جهاز الأمن الاتحادي الروسي فيما يتعلق بأدوارهم في اختراق ٥٠٠ مليون حساب ياهو عام ٢٠١٤.

بيننا كل هذا العمر..

بيننا العسكر يجمعون بقايا السلاح من ساحة المعركة التي انتهت للتو؛ يبتسمون بسذاجة لنصر لم يتحقق، ويطلبون السجائر من إخوة القتلى وأبنائهم ـ فالهدنة بدأت الآن ـ والرحمة للشهداء! بيننا المدن المحاصرة التي لم تسقط بعد، وتلك التي لن تسقط أبداً، وتلك التي لم تفقد عذريتها بعد وتخرج على القانون! بيننا كل شيء قدّ من خوف، ما دامت يدا الإنسان تلطختا بالدم وبوصلة القلب لا تعرف جهةً غير الشارع!

متفقان نحن على ضرورة الحرب، ومختلفان على نتيجتها! أعرف اسمك قبل الحرب ولا أعرف وجهك، وتعرف قليلاً عن حزني قبلها ولا تعرف خطاياي الكثيرة التي لا زلت أخافها وأخاف أن تعرفها فتأخذك الريح معها حين تنتهي العاصفة. بيننا الورد اليابس الذي تحتفظ به في جيوبك حتى الآن، وقبعات صاحب الظل الطويل التي أفكر بها كلما رميتَ قلبي بصراخك ورجمتَه بالغياب. متفقان نحن على ضرورة الفرح ومختلفان على طريقته! توقف عن الضجر إذاً، وتوقف عن نشر حزني بين الغرباء؛ فأنا أريد أن أنام.

الحجارة التي ترصف بها الطريق إلى الغد لم أعد أريد أن أسير عليها، والبيت الذي وعدتَ قلبي بسقفه لا أريد أن أسكن فيه، والجُمل التي تكررها كلما اختلفنا على شكل الوقت في الساعات أو على مرارة فكرة الأمل وعبثية انتظارها لا أريد أن أصغي لها بعد الآن، والولادة الجديدة لامرأة ورجل سيخرجان قريباً من دورة الحياة السخيفة لم أعد معنية بها. لقد توقف قلبي قبل قليل عن مشاهدة ذلك الحلم، وأريد أن أغمض عينيّ قليلاً كي لا أبكي عليك ثم أفتحهما لأرى العالم خالياً من الخوف! تباً لعالم نمنح فيها أعمارنا لمن لا يقدرونها باسم الحب والذكريات المشتركة. أنا أكره الذكريات.

بيننا العسكر الذين لا يموتون؛ وأنت ما زلت مشغولاً بترتيب أصدقائك القديمين واكتساب أصدقاء جدد يؤمنون بالثورة مثلك، وأنا أزيد وحدتي كل يوم يوماً آخر حين أمزق التاريخ وآمره بنسيان أمنياتي كلها ليتذكر فقط أمنية بقائك معي. لا تستجب لي يا الله فأنا امرأة لا تعرف أن الحبّ لا يحطّ رحاله في باب أحدهم بأمنية أو صلاة؛ وأنه لا يسير في طريق واحدة مرتين! لا تستجب لي يا الله فأنا امرأة لا تريد أن تعترف بالندم أمام الآخرين وترفع رأسها أمام أصدقائها لتشرب نخب الفراق! لا تستجب لي يا الله؛ فأنا امرأة جبانة.

الحرب لن تضع أوزارها غداً، والأمهات مشغولات بيتم أطفالهن المحتمل، والرجال يشكرون الرب كل مساء لأنه منحهم فرصة أخيرة لتقبيل حبيباتهم سراً عن فجيعة الوطن. أمي لا تنفك تتحدث عن الرحيل، وأبي يتابع نشرات الأخبار بحكم العادة لا الضرورة، وأنا تيتمت قبل أن أعرف معنى الحب لكني لم أشعر بذلك حقاً قبل اليوم، وقلبي أكلته الصحراء التي تريدني احتمالها وقتاً إضافياً فربما تستطيع أن تقيم له جنازة لائقة وتمنح ضحكاته القليلة خلوداً استثنائياً. كل شيء هادئ وسريع كرصاصة تنطلق من مسدس صامت، كل شيء بارد ومقطوع الأطراف كحزن قديم لا جدوى من الاحتفاظ به بعد كل هذا الوقت، كل شيء مغرور وبخيل كحبك المغروس خنجراً يبتسم في ظهري حين تأخذني بين ذراعيك، كل شيء فائض عن حاجتي في هذا البيت الصغير الذي أخبئ جسدي فيه خوفاً من شجاعة ستقنعني بمطاردة الفرح وتجعل مني امرأة غير صالحة للبقاء؛ فأنا أكره المجد والأبنية العالية والوجوه التي يلحظها الجميع والأسماء التي تهتم بها الصحف اليومية وقنوات الأخبار.

بيننا الغرباء الذين تعرفهم ولا أتذكر أسماءهم، بيننا الأطفال الذين وصلتنا صور موتهم متأخرة جداً وسمعنا صراخهم وخوفهم بعد فوات الأوان، بيننا خيانة القلب التي لا تغتفر، بيننا أشجار الخوف التي حولت جبال أرواحنا إلى تراب وساوت بينها وبين رماد القتلة، بيننا الجراح التي لا تتعافى بوعد أو قبلة كاذبة، بيننا أصابعك الباردة حين تلمس صوتي في غيابي ثم تدير ظهرك لي، بيننا موتي المحتمل وحياتك القادمة، بيننا مطر مستمر أصابني بالزكام ومظلة تحملها حتى في لقاءاتنا الصيفية، بيننا نهايات كثيرة سأختار واحدة منها وأخرج من هذه اللعبة.

حذائي الذي أضعتُه حين لحقت بك إلى فرحك لم يعد بعدها؛ صرت أدرك معنى أن تسير في درب لا تتجه حياتك نحوه. صرت أدرك معنى الخسارة في أصعب حالاتها، صرت أعرف معنى أن تكون الفاقد والمفقود في ذات الوقت! بيننا بداية لا تتذكرها فقد انطفأت أضواؤها ونفذ زيت المصابيح وها نحن الآن نكبر في العتمة. غداً حين أصحو سأحدثك عن الموت السريري لروح عاشقة، عن الفرق بين امرأة تعرف وامرأة لا تعرف، عن الحياة التي أكملتها بك وما زالت ناقصة، عن جدوى الصمت حين تجامل وجعي بغضب رجل يكره دموعي ولا يفهم سببها، عن رحمة النسيان وطغيان التذكر، عن بياضك وسواد البيت حين تحمل الطريق في حقيبة سفرك وتذهب، عن الرؤوس التي أقطعها كل يوم في الحلم انتقاماً لأعين الشهداء التي لا تفارقني، عن غرفتين في فندق قديم حفظتا أسرارنا ورمتا بوجهينا من النافذة، عن احتفال لا يحين وقته أبداً، عن ورقة مستطيلة أعطتني اسمك ولم تجعلك لي، عن وطن كان يخطئ دائماً في كتابة اسمي ولم يمنحني حتى تذكرة للسياحة!
حين أصحو غداً سأحكي لك عن أشياء كثيرة لا تعرفها؛ سأقول لك كم أحببتك وكم انتظرتك على أرصفة الغربة حتى تعبت قدماي من الشك في إمكانية وصولك، أما الآن عليك أن تخرج وتغلق باب العمر خلفك؛ فأنا أريد أن أنام.

د. يوسف إسماعيل

موفق قات عن العرب اللندنية

أخبار من العالم

فرنسا تطلق أول قطار بالعالم يعمل بالهيدروجين

أطلقت شركة ألستوم الفرنسية قطارا كهربائيا يشتغل بالهيدروجين وفق تكنولوجيا هي الأولى من نوعها في العالم، وتنهي الاعتماد على المشتقات النفطية الملوثة، وقد اشترت ولاية باس ساكس الألمانية ١٤ قطارا من هذا النوع الذي لا يصدر أي انبعاثات كربونية.ويقول ماركو بري مدير التجارب بمصنع ألستوم في مدينة سالزغيتر شمالي ألمانيا إن القطار المسمى «كورواديا إلينت» يتميز بهدوئه على عكس القطارات التقليدية التي تعمل بالديزل، كما أن محركه يتصف بالقوة.القطار الفرنسي هو الأول من نوعه، ويجسد جيلا جديدا من القطارات لا تحتاج إلى أسلاك كهربائية ليتم تشغيلها، كما أنه أقل ضجيجا وتلويثا من القطارات التي تعمل بالديزل، ولا يصدر القطار الهيدروجيني سوى مياه التبخر الناتجة عن تحول الهيدروجين إلى كهرباء.

أقوى محرك ميكانيكي في العالم

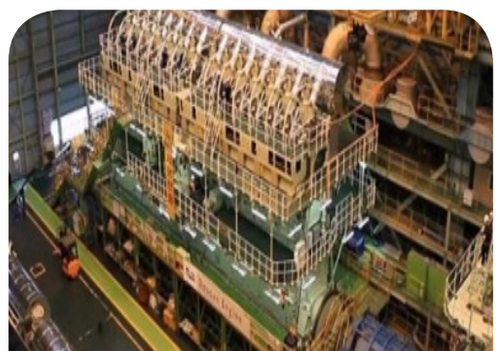

صنعت شركة وارتسيلا الفنلندية أقوى محرك ميكانيكي في العالم، ويعادل بعشرات الأضعاف قوة أسرع محرك للسيارات. أطلقت عليه اسم «١٤ آر تي – فليكس ٩٦ سي»، وسيستخدم لتشغيل سفن الشحن العملاقة، التي قد تفوق حجم حاملات الطائرات الأميركية.
وسيعمل المحرك بقوة ١٠٧ ألف حصان، وهو ما يعادل قوة محرك سيارة فيراري الخارقة، ١١٣ مرة، و٧١ مرة أقوى من محرك دبابة «أم ١ أبرامز» الحربية.ويحتوي المحرك العملاق على ١٤ محركا داخليا، ويبلغ طوله ٢٧ مترا، ويزن ٢,٣ مليون كيلوغراما، ويمتلك مزايا اقتصادية في استهلاك الوقود.

الضحك يزيد من عمر الإنسان

كشفت دراسة أمريكية حديثة أن الضحك يزيد من عمر الإنسان ويحسن الصحة بشكل عام.
وأوضحت الدراسة أنه «وجد أدلة تشير إلى أن الضحك يقلل من الهرمونات المسببة للتوتر في الجسم، كما يخفّض نسبة السكر في مجرى الدم، ويساعد الضحك على تحسين الصحة بشكل عام".
وبيّنت الدراسة، بحسب «سي ان ان" أنه «على الأشخاص أن يتظاهروا بالضحك، حتى وان لم يجدوا الأمر مضحكاً أطلقوا ضحكة مزيفة، وستؤدي للفوائد ذاتها أيضاً".
وأضافت الدراسة أن «الناس يضحكون بشكل معتاد ما بين ١٥ إلى ٢٠ مرة في اليوم، ولكن عندما تصطنع الضحك، فإنه يساعدك على التعمق والإبداع في تفكيرك".
وأشارت الدراسة إلى أن الضحك إن كان حقيقياً أو مصطنعاً، يعود بفوائد كبيرة على الصحة ويزيد من عمر الإنسان".

رئيس التحرير بسام يوسف
مدير التحرير بشّار فستق
المحرر التنفيذي حسين برو
الاخراج الفني مازن عودة
مستشارة التحرير د.خولة حديد
الصفحة الثقافية فاضل الفاضل
العلاقات العامة نور العبدالله
مكتب درعا سارة الحوراني
الموقع الإلكتروني محمد الشبلي
SNP
آراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي لكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة